وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم : الأدب العربي

مذكرة بعنوان

الخطاب الجغرافي والثقافي في رحلة الحاج "ابن الدين الأغواطي"

مذكرة مكملة لنيل متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- ✓ بوطينة نزهة
- ✓ درمـــوش يسرى

إشراف:

– بورحلـــة جميلة

لجنـــــة المناقشـــــة:

اللقب والاسم	الرتبـة	الصفة
حشاني عبـــاس	– أستاذ محاضر ب	رئيســـــــا
بورحلـة جميـــلة	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا
بوتيوتة عبد المالك	أستاذ محاضر ب	ممتحنـــــا

السنة الجامعية

2021–2020

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي،
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

طه (الآية: 25-26-27-28)

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى أولا ونحمده كثيرا على توفيقه لنا، وتسديده خطانا، فهو المتفضل الأول بسابق الكرم والمعطي دائما لجزيل النعم

وامتثالا لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))

وعلى هذا نتقدم ببالغ الشكر والامتنان إلى أستاذتنا الفاضلة "جميلة بورحلة" التي توسمت فيها الطيبة ورحابة الصدر، فعملنا اكتمل بتوجيهاتها السديدة وآرائها الدقيقة، منا ألف شكر وتحية

إلى كافة أساتذتنا بقسمنا اللغة العربية وآدابها إلى كل من كان لنا ظلا فاحتمينا به وقت الشدة

يسـرى نزهـة

إهـــــداء

أهذي هذا العمل إلى من لولاهما ما رسمت بخط ولا أهديت قط والدي الكريمين حفظهما الله على الدوام

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى : «وبالوالدين إحسانا» أمي الحنون فرحة عمري ونور حياتي حفظها الله، أبي الغالي الذي رباني على الإيمان وأنار لي درب العلم والإحسان حفظه الله.

إلى إخوتي وزوجاتهم وأخواتي الكل باسمه ومقامه وأولادهم دون استثناء.

إلى صديقتي في الحياة قبل العمل يسرى درموش

إلى كل من تمنى لي التوفيق وساندني ولو بكلمة طيبة

نزهـة

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أغلى وأعز الناس أمي وأبي.

أمي الغالية التي غمرتني بحبها وعطفها ودعواتها ووقفتها بجانبي طول هذا المشوار

إلى أبي العزيز الذي رباني وأحاطني برعايته وحبه، اللذان سهرا وتعبا على تعليمي في إتمام دراستي وهذا العمل، أدعو الله أن يحفظهما ويطيل عمرهما.

إلى سند روحي زوجي العزيز "رضوان" الذي كان المشجع الأكبر على تخطي كل الصعوبات، والذي كان خير رفيق ومعين وإلى إخوتي حفظهم الله فوزي، رابح، سامي، ونور الدين، وبنت عمي أميرة، وبنت خالي سليمة

وإلى كل عائلة زوجي الكريمة أمي الثانية حفظها الله وأخوات وإخوة زوجي وكل أولادهم.

إليك أنت يا رفيقتي طول مشواري الدراسي وفي عملي "نزهة بوطينة" أتمنى لك التوفيق في المستقبل وإلى كل صديقاتي دون استثناء من قريب أو من بعيد

إلى كل من له مكانة خاصة في قلبي

إلى كل من نسيته أقلامنا ولم تنساه قلوبنا

يســـرى

مقدمـــة

مقدمة

فن الرّحلة هو طابع قصصي، فيه فائدة للمؤرّخ مثل الباحث في الأدب والجغرافيا وعالم الاجتماع وغيرهم، كما أنه ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع، وفي اكتشاف معالم أقطار وبلدان ووصفها والحكم عليها وعلى المجتمع فيها حكاما ومواطنين، فهو وصف في النِّهاية لكل ما انطبع في ذهن الرَّحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط

ويقوم أدب الرّحلة على عنصرين أساسين لا يستغني أحدهما عن الآخر: نص أدبي لا يخلو من الخيال، والرّحلة واقعية، ويقتضي ذلك أن تطفوا أدبية النَّص وما تستلزمه من حضور تعبيري يقطر سردا ووصفا وبهاء لغويا، على سطح مادة رحلية واقعية حدثت بالفعل في الواقع المكاني للكاتب.

ومن ذلك قمنا بدراسة رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي التي تزخر رحلاته بالحضور الجغرافي والثَّقافي.

حيث جاء موضوع بحثنا موسوما بـ"الخطاب الجغرافي والثقافي في رحلة ابن الدِّين الأغواطي".

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه قديم الجذور، وأن الدراسات في هذا المجال قليلة.

وقد اخترنا هذا الموضوع للدراسة لعدة أسباب وهي رغبتنا الشَّديدة في الاطِّلاع واكتشاف هذا النَّوع من الدِّراسة كونه غير مدروس من قبل، وسنحاول في هذا البحث المتواضع إعطاء دراسة تحليلية لنص الرّحلة بهدف إبراز الخطاب الجغرافي والثَّقافي في رحلة الأغواطي.

وكأي بحث يتطلّب قبل الولوج فيه طرح عدَّة تساؤلات، تتقدّمها الإشكالية الرّئيسية: ما هي المميزات الجغرافية والثَّقافية التي يزخر بها خطاب الرِّحلة لابن الدين الأغواطي؟ وتتفرَّع عن هذه الإشكالية إشكاليات فرعية: ما مفهوم الرِّحلة وأدب الجزائر؟ كيف نشأت؟ وما هي أبرز أنواعها وأقسامها؟.

ولتحقيق هذه الدّراسة اعتمدنا على المنهج الوصفي التّحليلي الذي يعني الطَّريقة المنظمة لدراسة وتمييز ظاهرة أو موقف أو أحداث والكشف عن الجوانب التي تحكمها.

وقد تكوّنت هذه الدّراسة على مدخل وفصلين وخاتمة، حيث اختصّ المدخل لمحة عن الأدب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي والرّحالة في تلك الفترة.

بينما تعرّضنا في الفصل الأول إلى الرّحلة فكان عنوان الفصل "مفهوم الرّحلة والنّشأة" وقد اندرج تحت ثلاث مباحث نظرية ويضم كل مبحث مطلبين، كانت البداية مع تحديد مفهوم الرّحلة لغة واصطلاحا، أما المبحث الثّاني فكان بعنوان نشأة الرّحلة عرضنا فيه نشأة الرّحلة قبل الإسلام ثم بعد الإسلام، ثمَّ لننتقل إلى المبحث الثَّالث والأخير والذي كان بعنوان "أنواع الرّحلة وأقسامها" تناولنا فيه أنواع الرّحلة والأقسام.

أما الفصل الثاني فقد جعلناه تطبيقيا وهو بعنوان "الخطاب الجغرافي والثَّقافي في رحلة ابن الدّين الأغواطي"، وتندرج تحته ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول يضم تعريفا بصاحب الرّحلة وناقلها أمّا المبحث الثّاني فجاء تطبيقيا محضا بعنوان " الخطاب الجغرافي في رحلة ابن الدين الأغواطي"، حيث قمنا بشرح وتحليل الخطاب الجغرافي في كل رحلة أمَّا المبحث الثَّالث والأخير فكان عنوانه "الخطاب الثّقافي في رحلة ابن الدّين الأغواطي"، الذي ضم تعريف الثّقافة وعلاقة القائد بالرّعية أو الشّعب وصورة المرأة والحياة الدّينية للشَّعب الجزائري.

وفي الأخير خلصنا إلى تقديم خاتمة تشمل وتُلخّص زبدة ما جاء في الفصلين الأول والثّاني.

ولقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع كانت المعينة لنا، من بينها: " كتاب الرحلة عين الجغرافية المبصرة لصلاح الدين الشامي"،" كتاب أدب الرحلات لحسين محمد فهيم"، كتاب "أدب الرّحلة في التراث العربي" لفؤاد قنديل، كتاب " الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرّابع هجري لناصر عبد الرّزاق الموافي".

ولعل أهم العراقيل التي اعترضت سبيلنا في هذا البحث هي قلة المصادر في الجانب التطبيقي، وصعوبة التواصل في هذا الوضع الصحي الراهن.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدّم بالشُّكر الخالص للأستاذة الفاضلة والمتميزة عندنا "جميلة بورحلة" التي أسدت لهذا البحث عنايتها بتوجيهاتها الهامّة ونصائحها الدّائمة، فكانت لنا نعم المشرفة كما نشكرها جزيل الشُّكر على الثِّقة التي منحتها إيانا ولم تنقص من مستوانا بل كانت دائما مشجّعة لنا، لك أجمل الشُّكر والعرفان، وجعلها الله في ميزان حسناتك، وندعو المولى عزّ وجل أن نكون قد وفقنا فيما قدّمنا في هذا البحث.

مدخـــــل

مدخل:

الأدب الجزائري بشقّيه القديم والحديث، شعره ونثره، موضوع جدير بالدِّراسة والاهتمام كونه يعالج قضايا تتعلّق بالوطن ومعاناته، فقد كان للحوادث والجرائم التي تكبّدها الشّعب الجزائري إبّان الفترة الاستعمارية تأثير واضح على السَّاحة الأدبية الإبداعية لأنّه حرّك العقول الواعية لتثبت وتشحذ الهمم من جهة، ولتخلد بطولات ومآثر الأمجاد من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق ومن اللغة المعبّر بها قسِّم الأدب الجزائري إلى قسمين: أدب جزائري مكتوب باللغة الأم وأدب جزائري مكتوب باللغة الفرنسية «أنهم من وطن واحد، وجميعهم مهاجر إلى لغة وطن لا يتكلَّم بها وطنه، وهم واقعون في ازدواجية ثقافية واضحة، ثقافة البلاد التي ولدوا فيها وانتموا إليها، وثقافة البلد الذي وجدوا أنفسهم يتكلمون لغته، أو يختارونه مهجرًا».[1]

يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ديوانا من دواوين الأمة الجزائرية يحفظ لها تاريخها وموروثها الثّقافي والأدب على مر السّنين.

«هناك ازدواجية في الأدب الجزائري باللغة الفرنسية مع اختلاف في اللغة لكونها فرنسية فمنهم من ينكر على هذا الأدب جزائريته ويعدّه بسبب لغته أدبًا فرنسيًا، وهناك في المقابل من يعده بسبب الرُّوح التي كتب بها أدبا جزائريا خالصا لا مجال للطَّعن فيه».[2]

فالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مناقضٌ للأدب الاستعماري المليء بالمغالطات والعنصرية المقننة فهو يحمل هموم الإنسان الجزائري بجميع فئاته وطبقاته.

[1]- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1996م، ص11.

[2]- ربيحة المودع، خديجة قاسمي: التباسات الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من خلال رواية سأهبك غزالة لمالك حدّاد، مذكرة معدّة لاستكمال لمتطلبات نيل شهادة الماستر، 2011م، قسم اللغة العربية، ص10.

«فأدباء هذه المرحلة دافعوا أحسن دفاع وعبّروا أصدق تعبير عن هوية الشَّعب الجزائري وعن كيانه وعن وجوده، وعن حقّه في تعلم لغته وصيانة دينه والحفاظ على مقوماته الأساسية، هذه المقومات التي عملت فرنسا على ضربها من رقعة جغرافية وسيادة وطنية وثقافة عريقة وحضارة متجذرة في التَّاريخ ودين يجتمع عليه كل أهل هذا البلد».[3]

إذ ناضل هؤلاء الكتَّاب بالفرنسية خير نضال وحاربوا المستعمر بلغته بعدما اتخذوها سلاحا فكانت كتاباتهم مستوحاة من واقع الشَّعب الجزائري الطَّامح للحرّية والتَّحرر.

«مأساة التَّعبير في الأدب الجزائري إذ وجد الشُّعراء والكتاب الجزائريون أنفسهم مضطرين أن يستخدموا لغة غير لغتهم القومية في التَّعبير عن أدب المقاومة في بلادهم. وزاد في شعورهم بالضيق أن تلك الأداة هي لغة المحتل. وأنّهم متمكنون من التَّعبير بها عما يريدون وغير قادرين على التّعبير باللغة العربية، واعتبر الكثيرون منهم الكتابة باللغة الفرنسية نوعا من الغربة»[4]

مزق الاستعمار الفرنسي النَّسيج الاجتماعي الدَّاخلي للمجتمع الجزائري، من خلال سياسة الإلغاء الدّيني والطّبقي والجنسي « حاولت هذه الإدارة الاستعمارية أن تزرع التّفرقة بين أفراد الشَّعب فخلقت هوة بين مختلف الطَّبقات».[5]

وذلك بهدف تفرقة المجتمع الجزائري وإحداث فروقات بينهم من أجل تسهيل مرادها ومبتغاها.

«وجد كثير من الجزائريين أنَّ التَّنوُّع العرقي للمجتمع وكذا التَّلاعب الفرنسي سيحول الأرض التي يفترض أن يدافعوا عنها إلى سجينة أبدية في أيدي المعمرين والحالمين بالفرنسية، ففرنسا شأنها شأن أية قوة استعمارية أخرى،

[3]- المرجع السابق، ص10.

[4]- عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1991م، ص7.

[5]- جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية – دراسة سوسيو نقدية – أطروحة لنيل دكتوراه في النّقد الأدبي الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، إشراف عز الدّين المخزومي، 2010-2011م، ص16.

أرادت تثبيت سيطرتها من خلال ترغيب الأقلّيات وإغوائها وترهيب الأغلبية واستعبادها وقد سماها "مولود معمري" "سياسة الأفيون والعصا"».[6]

في هذا الجو المليء بالصّراعات وبالنّزاعات القتالية حينا أو بالاستقرار والخمول أحيانا أخرى ولد الأديب الجزائري بعيدا عن المصادفة أو التّلقائية، إذ يمكن القول بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية نما وتطوّر نتيجة ظروف ثقافية وسياسية.

فلأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية شهد تأخرًا في الظُّهور حيث نجد عبد الله الرّكيبي شارحًا تأخُّر الكتابة الأدبية وخصوصا الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كون أنَّ الرّواية «فن صعب يتطلَّب من الممارسة الصّبر، طول التّأمل... يضاف إلى هذا انعدام النّماذج الرّوائية الجزائرية العربية، التي يمكن تقليدها والنَّسج على منوالها».[7]

فالظروف السياسية والاجتماعية والثّقافية وسياسة التَّجهيل التي مارسها الاحتلال نجم عنها تأخُّره، ولكن المدَّة الممتدَّة من الاحتلال 1830م إلى ظهور أول عمل روائي جزائري مكتوب بالفرنسية 1920م مدة تقارب تسعين عاما هو أمر يدعوا للاستغراب «لاسيما إذا أخذنا بدعاوي الاستعمار الذي كان يردّد دائمًا أنَّ رسالته في الجزائر هي رسالة حضارية».[8]

فميلاد الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية الذي جاء في ظروف استثنائية هو ردٌّ قويٌّ على محاولات الاستعمار الرَّامية إلى تصفية القضية الجزائرية، ونبش في جذور هذا الأدب يظهر إجماعا على أن أول نص أدبي جزائري مكتوب بالفرنسية يرجع إلى سنة 1891م "قصة بعنوان انتقام الشّيخ"، كما ساهمت الحرب العالمية الثَّانية في نضج الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

[6]- المرجع السابق، ص16.

[7]- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، المنظمة العربية للتربية والثّقافة والعلوم، (د.ط)، 1967م، ص179.

[8]- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوُّره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، 2007م، ص89.

أمّا الحديث عن الشعر الذي يمثّل عروبة وأصالة الشُّعوب فإنَّه مخطئ من يظن أنّ العروبة قد اختفت من الجزائر والذي ساعد على هذا الخطأ هو انقطاع الجزائر لظروف قاهرة عن شقيقاتها العربية بالإضافة إلى رض المفكرين العرب بهذا الانقطاع «وليس معنى هذا أنَّ الأدب الجزائري قد بلغ درجة يحسد عليها أو أنه شارف الكمال...ومهما كان شأن هذا الأدب من الجودة أو الانحطاط، فإنّه قد كان تعبيرا عن الحياة التي عاشتها الجزائر وراء القضبان عشرات السّنين وصورة للصّراع من أجل البقاء وهذا لا يعني بالطّبع أنّ ذلك الأدب كان نزوعا إلى هدف أو بشيرًا إلى مجهول، ويكفي الشّعر الجزائري أنه احتفظ بميزة الصّدق...وما يزال معه جنبًا إلى جنب».[9]

في حين يتبيّن لنا بأنَّ القرون التي سبقت الاحتلال كان النّتاج الأدبي يكاد يكون عقيما يسير وفق القصيدة العمودية ذات الروي الواحد والقافية الموحدة «من الممكن اعتبار شعر الأمير عبد القادر آخر مرحلة للشعر القديم في الجزائر».[10]

«وقد تطوّر الشعور السياسي الوطني في المقاومة الجزائرية للاستعمار تطوّرا جعل الشّعر يتقدّم خطوات بالمفهوم الكفاحي»؛[11] أي أن الشّعر في الجزائر شهد تطوّرا مع تطور الأوضاع السياسية «والحق أن الشّعر الجزائري لم تغره السياسية مهما بالغت في الجاذبية فلم يسر في ركاب أي حزب».[12]

فالشّعر عالج قضايا وطنية اجتماعية تصوّر الفترة التي واجهت الشّعب الجزائري في المعاناة في شتَّى المجالات.

وأهم ما يمكن استنتاجه «نسمي الشّعر الجزائري النّاطق بالعربية بشعر "الدّعوة إلى المقاومة" وذلك لأننا سنرى في الشّعر الجزائري النّاطق بالفرنسية أنّه هو شعر "المقاومة" نفسها».[13]

---

[9]- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرّائد للكتاب، الجزائر، ط.5، 2007م، ص32.

[10]- الم رجع نفسه، ص33.

[11]- المرجع نفسه، ص34.

[12]- المرجع نفسه، ص35.

[13]- عبد العزيز شرف: المقاومات في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ص41.

من أهم الوسائل التي ساهمت في ترويج هذا الأدب نجد الصّحافة فعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى منعت السُّلطات الفرنسية بالجزائر إصدار الصُّحف العربية منعًا باتًا، كما منعت دخولها وفرضت عليها رقابة مشدَّدة، والجزائر كغيرها من بلدان المغرب الإسلامي عرفت الصَّحافة متأخِّرة ويرجع تأخُّر ظهور الصّحافة الوطنية في الجزائر إلى السياسة الاستعمارية التي كانت تهدف إلى محو الشَّخصية العربية الإسلامية الجزائرية، وذلك بالقضاء على كل محاولة من شأنها إيقاظ الرُّوح الوطنية.

«وقد شعر العلماء المسلمون بخطر نفوذ وسلطة رجال الطرق الصوفية على الشَّعب، وعملهم على استغلاله والتَّمويه عليه باسم الدّين فقرّروا محاربة البدع...فنظموا جهودهم في "جمعية العلماء المسلمين" التي تأسست سنة 1931م».[14]

«وكان يرأس الجمعية في أول عهدها عبد الحميد بن باديس الذي أصدر جريدتي "الشهاب" و "البصائر" ثم أصبح البشير الإبراهيمي رئيسها بعد وفاة عبد الحميد بن باديس».[15]

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهم تنظيم إصلاحي في الجزائر، إذ عملت على إصلاح وتوعية الأفراد من البدع والخرافات الضَّالّة التي تفشَّت في المجتمع بفعل السّياسة الاستعمارية الفرنسية من جهة وانحرافات بعض الطّرق الصّوفية من جهة أخرى.

وكانت الصّحافة المكتوبة وسيلة اتصال مهمة في المجتمع، فكان هدف العلماء المصلحين في الجزائر هو إصلاح المجتمع من كل جوانبه لذلك اتّخذوا من الصّحافة وسيلة أساسية منذ 1919م، وعندما تأسست الجمعية سنة 1931م أصبحت منبرا إعلاميا لأفكارها ومبادئها ودعواتها وأهدافها.

[14]- المرجع السابق، ص38.

[15]- المرجع نفسه، ص38.

يعتبر عبد الحميد بن باديس من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين وله جهود لا تعدُّ ولا تحصى بالإضافة إلى تأسيسه مجموعة من الصُّحف، يكفي أن يعرف عنها أنَّها ذات اهتمامات دينية ولغوية ومن أبرز الشَّخصيات التي برزت بعده نجد البشير الإبراهيمي، فقد انتخب غيابيا رئيسا للجمعية وقام بإنشاء معهد ابن باديس بقسنطينة وبعث جريدة البصائر في طبعتها الثَّانية، كما نجد من آثاره عيون البصائر.

«وجاءت القضية الوطنية الجزائرية، فوجد الخطاب الإبراهيمي في القرآن خير ينبوع يغرس فيه ريشته ليصوغ عباراته القدائفية ويرسلها على الاستعمار وأذنابه»[16]

إذن نستنتج بأن جمعية العلماء هي التي حققت للجزائري نسبه العربي الصريح، «بريئا من شوائب الإقراف والهجنة، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه وفي لسانه شعور الكرامة للغة، وفي ضميره شعور الارتباط بين المقومات الثلاثة: الجنس واللغة والوطن، يمدها الشرق بسناه، ويغديها، الإسلام بروحانيته».[17]

وعرف الأدب الجزائري كغيره من الآداب، أدب الرحلة الذي كتب فيه الجزائريون مسجلين فيه ما حل بهم غداة ترحالهم، ذكروا فيها ما شهدوه من معالم طبيعية وأفكار متنوعة وعادات وتقاليد اجتماعية.

«عرف الجزائريون عبر تاريخهم الطويل،-كغيرهم من أبناء يعرب- بكثرة ترحالهم وسفرهم في شتى أنحاء العالم،ولاسيما خلال القرن الثاني عشر هجري (12هـ) القرن الثامن عشر ميلادي (18م)...غير أن ما يمكن أن يقال عن رحلات الجزائريين أنهم كانوا قليلي الإنتاج بالمقارنة مع إخوانهم المغاربة».[18]

[16]- أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1997م، ص6.

[17]- المرجع نفسه، ص57.

[18]- بورقبة مريم: أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا - بحث مقدم لنيل شهادة الماستر- في اللغة العربية تخصص دراسات جزائرية في اللغة والأدب، جامعة أدرار، 2012-2013م، ص27.

«وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون "رحلات حجازية" وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون "رحلات علمية"»[19]

وبذلك كانت بعض رحلات الجزائريين تلبية لنداء الحج وبعضها نتيجة لطلب العلم، وبالتالي كان هناك إسهام كبير في كتابة الرحلات رغم قلتها بالقياس إلى كتاب رحلات المغاربة، «ومن أشهر الجزائريين الذين كانت رحلاتهم باتجاه المغرب العربي نجد الرحالة الجزائري "عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري الذي عاش في القرن (12هـ) والتي كانت بغرض طلب العلم والتجارة انتقل فيها من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس»،[20] وصف من خلالها الحياة العلمية وبعض الجوانب السياسية والاقتصادية.

أما الرحلة الثقافية والدينية الاجتماعية فنجد رحلة العربي التبسي إلى تونس إذ الغاية منها كانت «لربط العلاقات وتنميتها بين الجامعة الزيتونة العامرة والمعهد الباديسي بقسنطينة».[21]

بالإضافة إلى وجود أسماء كثيرة منها أبو منصور العامري التلمساني، وسعيد بن عبد الله المنداسي، وسيدي الحسين الورتلاني،. وأحمد المقري وغيرهم من الرحالة الذين جابوا البلاد العربية والغربية لاكتشافها.

«أما حديثا فإن التلاقح الثقافي، والحملات الاستعمارية والنهضة الحديثة أفرزت دواع أخرى للسفر وإن كانت في معظمها أسبابا دافعة نتيجة للطوق المفروض على المثقف العربي عامة والجزائري بخاصة فنجد عديد الأدباء الجزائريين الذين سجلوا ما عند الآخر من أفكار وأنماط معيشة، ومن هؤلاء أحمد توفيق المدني، محمد خير الدين، محمد الصالح رمضان، مالك بن نبي، أحمد رضا حوحو، كاتب ياسين...».[22]

---

[19]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، (1500–1830)، دار الغرب الإسلامي، ط.1، بيروت، 1998م، ص381.

[20]– أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، ص395.

[21]– البصائر، سلسلة 2، العدد 44، الصادرة بتاريخ 26 جويلية 1948، ص2.

[22]– صالح قيس، "انثوغرافيا الواقع في أدب الرحلة الجزائري صورة الواقع وجمالية المتخيل"، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، مجلد8، عدد1، 2019م، ص33.

والملاحظ على الرحلة الجزائرية أنها حملت في طياتها خصوصية اجتماعية وثقافية وفكرية، ساعدت الأديب الجزائري على مجاراة الواقع بكل تمظهراته.

إذن يمكن القول إن الرحلات الجزائرية اتسعت مشاربها حتى غمرت أنحاء العالم بأكمله شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، وقد كثرت بعد الحرب العالمية الثانية، هادفة إلى إبراز معالم الجزائر الثقافية والاجتماعية والسياسية...والكشف عن خصوصيات الشخصية الجزائرية، من أجل تأسيس الهوية الوطنية.

الفصل الأول: مفهوم الرحلة والنشأة

المبحث الأول: مفهوم الرحلة

المطل الأول: لغة

المطلب الثاني: اصطلاحا

المبحث الثاني: نشأة الرحلة

المطلب الأول: قبل الإسلام

المطلب الثاني: بعد الإسلام

المبحث الثالث: أنواع الرحلة وأقسامها

المطلب الأول: أنواع الرحلة

المطلب الثاني: أقسام الرحلة

المبحث الأول: مفهوم الرحلة وأهميتها

المطلب الأول: لغة

إن الإنسان ولد مرتحلا والرحلة راسخة في طبيعة الإنسان فهي فطرية لديه، فالإنسان خلق محبا للحركة والتنقل، فالحركة هي عنصر مهم في حياة الإنسان لأنها وسيلة لقضاء ضروريات حياته وأهدافه ولذلك فالرحلة هي تعني الانتقال من مكان لآخر، لتحقيق هدف معين.

عرفت مادة "رحل" في المعاجم العربية نصيبا كبيرا من الشرح والتفصيل في معانيها واستخداماتها الكثيرة عند العرب نجد في قاموس المحيط لفظة "رحل":

«ارتحل البعيرُ: سار ومضى، والقوم عند المكان : انتقلوا كترحلوا والاسم الرّحلة بالضم والكسر أو بالكسر الارتحال والرحيل: ارتحال القوم ورحل: انتقل»[1]

كما حظيت مادة رحل في معجم لسان العرب:

«الترّحيل والرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، يقال:يرحل الرّجل إذا سار وأرحلته أنا، ورجل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحال عالم بذلك مجيد له».[2]

فالرحلة هنا بمعنى السير وورد لفظ (الرحلة) في موضع آخر بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر «والترحل والارتحال: الانتقال وهو الرحلة والرحلة، والرحلة، اسم للارتحال للمسير».[3]

[1]- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهويني، دار الكتب العلمية، ط.3، بيروت، لبنان، 2009م، ص1018.
[2]- ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج3، ج18، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.ت، ص1609.
[3]- المصدر نفسه، 1609.

الرحلة حركة انتقال لشخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «رحل: الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر. ويقال رحل يرحل، والمرحل ضرب من برود اليمن والراحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى.

ويقال راحل فلان فلانا إذا عاونه على رحلته وترحله إذا أظعنه من مكان وأرحله أعطاه»[1]

وقد ورد ذكر الرحلة في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) ﴾[سورة قريش الآيتين1-2]

كما نجد في كتاب العين:

«رحل ورحلت بعيري رحله رحلا وارتحل البعير أي سار فمضى ثم جرى والرحيل اسم الارتحال للمسير ورحل الرّ جل منزله ومسكنه»[2]

إذن تجمع معاجم اللغة على أن الرحلة هي انتقال من مكان إلى آخر، ومن هنا يمكن القول أن البشر قديما كانوا يرتحلون، لأن الحركة من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر.

المطلب الثاني: اصطلاحا

الرحلة كتابة يحكي فيها المسافر لينقل ما جرى له وما شاهده وعاشه في رحلته، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم ولتحقيق الرحلة -كتابتها- يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين، يسمح له نقل أحداث سفره إلى كتابه.

[1]- الرازي: معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.2، بيروت، لبنان، 2008م، ص516.

[2]- الفراهيدي: كتاب العين، تج: عبد الحميد هنراوي، ج.2، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، لبنان، 2003م، ص106.

ولابد لكل رحلة مكتوبة من سفر حقيقي وفعلي، وهذا ما عبر عنه سعيد يقطين حيث فرق بين الرحلة كفعل والرحلة كخطاب، يقول:«الفعل تقوم به ذات تاريخية محملة بأحاسيس وانفعالات ولغيات معينة أما الخطاب فينجزه مرسل ينتج ملفوظاته وفق قواعد خاصة وغايات محدودة تتعين في علاقتها بالمرسل إليه».[1]

ولهذا نجد من يهتم بالرحلة كمادة وأهمل الخطاب الذي ينجزه المرسل، فتعددت مضامين التعبير عن الرحلة وكذا تنوع خطاباتها، مما أدى إلى صعوبة تحديد المصطلح كما تم «الاختلاف في تحديد طبيعته فمنهم من يعتبره تاريخيا وآخر جغرافيا وآخر سيرة ذاتية ».[2]

ونظرا إلى هذا الاختلاف «ذهب بعض الباحثين إلى إضافة أدب الر حلة (أدب الرحلة) ليفرقوا بينها وبين الرحلة بوصفها حدثا واقعيا لها أهداف ودوافع، تخرجها من دائرة الأدب إلى دائرة المعارف».[3]

من خلال هذا يتبين لنا أن مفهوم الرحلة يختلف عن مفهوم أدب الرحلة.

فيعرفها صلاح الدين الشامي بقوله: «إنجازا أو فعلا مباشرة لما يعينه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي تنتهي إليه».[4]

ونجد حسين محمد فهيم في قوله:«الرحلة نوع من الحركة وهي أيضا مخالفة للناس والأقوام». [5] وقد عرف الإمام الغزالي السفر بأنه «نوع حركة ومخالطة أو نوع مخالفة مع زيادة تعب ومشقة».[6]

[1]- سعيد يقظين: مفاهيم وتجليات، الدار العربية، للنشر دار الأمان، الرباط، ط.1، 2012م، ص175.

[2]- المرجع نفسه، ص176.

[3]- عبد العليم محمد إسماعيل: تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، جائزة الطبيب صالح للعالمية للإبداع الكتابي، الدورة الثامنة، (د.د)، (د.ب)، (د.ط)، (د.س)، ص4.

[4]- صلاح الدين الشامي: الرحلة عين االجغرافية المبصرة، منشأة المعارف للنشر الإسكندرية، (د.ط)، 1999م، ص11.

[5]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى للثقافة والفنون، د.ط، الكويت، 2012م، ص15.

[6]- أبو حامد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر،ط.1، بيروت، لبنان، 2005م، 712.

وفي تعريف آخر الرحلة هي: «الانتقال من بلد لآخر من أجل الحصول على الحديث وعلوم الإسناد والوقوف على أحوال الرجال».[1]

ويقول فؤاد قنديل: الرحلة « سلوك إنساني حضاري تأتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليها قبلها».[2]

وفي تعريف آخر «الرحلة سفر واقعي أو متخيل يسمح بالسفر عبر المكان أو الأجناس والأنساق والكلمات، حوارا و تفسيرا».[3]

ومن خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يتباعدان كثيرا، فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة، وهذه الحركة يحقق منها الإنسان أهداف عدة، ويمكن لهذه الأهداف أن تتحقق أو لا تتحقق، ويتم في الحالتين كلتيهما اكتساب خبرات عملية وفكرية ناجمة عن المخالطة.

ومن خلال ما سبق، سنحاول تحديد مفهوم أدب الرحلة باعتباره فنا من فنون النثر، على الر غم من تعدد المفاهيم التي تختلف من دارس إلى دارس، لأنها في نهاية تصب في قالب واحد.

عرف ناصر الموافي أدب الرحلة بأنه « ذلك النثر الذي يصف رحلته أو رحلات واقعية، قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمونه وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه».[4]

[1]- فاضل إسماعيل خليل: "الرحلة في طلب الحديث"، مجلة أدب البصرة، العدد 38، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005م، ص33.

[2]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب،ط.2، القاهرة، 2002م، ص21.

[3]- عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر (مستويات السرد دراسات في الأدب الجغرافي)، دار السويدي للطباعة والنشر، ط.1، أبو ظبي، 2006م، ص24.

[4]- ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات، المصرية، مكتبة الوفاء كلية الآداب، ط.1، جامعة القاهرة، 1995م، ص41.

في حين يعرفه سعيد بن سعيد العلوي بأنه «جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية كونه خطاب مخصوص له منطقه الذاتي وبناؤه ومكوناته وعناصره يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه والإمتاع لما يرصده لنا ما هو عجيب، الأمر الذي يجعل الرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص».[1]

كما جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:

إن أدب الرحلة هو « مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هدا في آن واحد».[2]

فأدب الرحلة حسب مجدي وهبة هو تلك المؤلفات التي تتحدث عن مغامرات واقعية قام بها الرحالة، وتعرف من خلالها على أحوال البلاد التي زارها وعادات وتقاليد أهلها التي تركت في نفسه انطباعات عدة.

يعد أدب الرحلة من أهم فنون الأدب العربي، ذلك لأنه يحمل في طياته قصصا حقيقية وأخرى خيالية أو مزج بين الخيال والواقع يقول شوقي ضيف «لا نبالغ إذا قلنا أن الرحلات من أهم الفنون في الأدب العربي لسبب بسيط وهو أن خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب ونقصد تهمة تصوره في فن القصة، ومن غير شك من يتهمونه هذه التهمة لم يقرؤوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص عن زنوج إفريقية وعرائس البحر، وحجاج الهند، وأكلة لحوم البشر وضياع الصين، وعبدة النار والإنسان البدائي والراقي مما يصور الحقيقة حينا ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حينا آخر».[3]

[1]- ينظر سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة، صورة للآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة ط.1، 1995، ص14.

[2]- مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط.2، 1984م، ص17.

[3]- شوقي ضيف: فنون الأدب العربي: الفن القصصي، الرحلات دار المعارف، ط.4، القاهرة، ، 1987م، ص6.

ومن هنا جعل شوقي ضيف من أدب الرحلة البذرة الأولى التي تشكل منهل الفن القصصي العربي القديم، وتلك القصص التي مزجت بين ما هو واقعي وما هو خيالي خير دليل، وقد مثل شوقي ضيف بقصص تصور العادات والمعتقدات الغريبة لبعض الشعوب، ما يعرف أنها من نسيج الخيال الجمعي ومهما يكن من أمر فإن عنصر الخيال يضفي على النص الرحلي صفة الأدبية، ويتخطى به حاجز المنطق وكل ما هو متوقع ولقد «تأثرت الرحلة مثلها مثل النصوص السردية الطويلة التي شكلت الإرث التراثي الممتلئ بالخيال وببصمات الواقع، وبثقافة العين ووجهات نظر مشتقة حول الآخر وبإضاءات للأنا والنحن».[1]

فالرحلة هنا تكون مزيج بين الواقع والخيال وتنقل لنا تجربة الذات (الأنا والنحن) ورؤيتها للآخر واكتشافه والأخذ عنه، وبما أن أدب الرحلة عمل أدبي وفن فمن المؤكد أن يمتزج الواقع بالخيال، ويؤكد ذلك ناصر عبد الرزاق الموافي في قوله: «يبدو أن دور الخيال يكون ضئيلا وله وظائف محددة وبالإضافة إلى ذلك لا يجب إهمال دور الخيال فهو يقوم بوظيفتين مختلفتين ومحددتين، وظيفة الاختراع أو الابتكار الانتقالي الذي يساعد على سد نقص فراغات الذاكرة».[2]

والوظيفة الثانية «هي عملية تحريف الذكرى وهي إما إرادية خاصة حينما يحذف الكاتب عمدا بعض التفاصيل خشية الفضيحة أو رغبة منه في تقديم صورة مثالية لذاته وإما إرادية حينما يعتقد أنه يقص فعلا حقيقة جربها».[3]

كما يذهب آخرون إلى تعريف أدب الرحلة انطلاقا من أحد مقوماتها والتي يدرجها ضمن خانة الأدب، وهو الوصف إذ لا يخلو نص رحلي من هذا العنصر المكون للنصوص السردية يقول حسين فهيم: «هذا وقد درج

[1]- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي التحنيس آلية الكتابة، خطاب المتخيل، مكتبة الأدب المغربين (د.ب)، (د. ط)، 2002م، ص70.
[2]- ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص62.
[3]- المرجع نفسه، ص42.

الكتاب العرب على استخدام عبارة أدب الرحلات للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين وغيرهم التي يصفون فيها البلدان والأقوام والتي يذكرون فيها أحداث تجوالهم ودوافع رحلاتهم».[1]

أشار حسين فهيم إلى خصائص الكتابة الرحلية التي لا تخرج عن وصف الأقوام والبلدان أو سرد الأحداث التي تلازم الرحلة بالإضافة إلى الانطباعات الشخصية وإصدار الأحكام وهذه إشارة إلى حضور الذات في الرحلة وهي ذات الكاتب التي تحرص على تقديم وجهة نظر ورؤيته الخاصة لما شاهده خلال رحلته.

كما عرف عبد الله الركيبي أدب الرحلة «بأنه فن له مميزات خاصة فإذا غني الرحالة بتصوير شعوره لوصف ما شاهد وما جرى له أثناء رحلته بغية إيصال فكرة معينة فإن رحلته تدخل في مجال الأدب لأنه ينفعل ويتأثر ويصف فيصور لنا ذلك من خلال عمله الأدبي».[2]

وتكمن أهمية الرحلات في قيمتها العلمية والفنية «فالقيمة العلمية تمثلت بتزويد أهل التاريخ والجغرافيا والآثار والأدب وغيرهم وعن وصف المدن وعاداتهم وتقاليدهم، أما القيمة الفنية فتزود القراء بمعلومات وصور ممتعة وأخبار تلذ وتمتع وتستعرض الأحداث بصورة أدبية تتسق مع النفس البشرية».[3]

فكل عمل أهمية سواء كان علميا أو أدبيا، وبفضل تلك الأهمية التي يمتلكها فإنه يسموا بها إلى مقام النجاح، وتكمن الفائدة فيما يقدمه هذا العمل للقارئ من معلومات وثقافة واسعة «لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء الفكرة وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين».[4]

[1]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص13.

[2]- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، د.ط، ليبيا - تونس، 1974م، ص50.

[3]- نوال عبد الرحمان الشواكبة: أدب الأندلسية والمغربية في نهاية القرن التاسع هجري، دار المافون، ط.1، عمان، 2007من ص53.

[4]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص15.

ويرى الشيخ حسين محمد في الرحلة فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا ومحكا أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته فيقول في معرض تعليقه على رحلة رفاعة الطهطاوي إلى باريس «السفر مرآة الأعاجيب وقسطاس التجاريب».[1]

كما تبرز قيمتها الأدبية في أن ما كتبه الرحالة «يأخذ طريقه إلى عالم الأدب بما فيه من صدق للتجربة، وللهجة الشخصية، والتصوير الفني الحي، مما يجعله قريبا من عالم القصة، وتحويل التجربة الإنسانية إلى تجربة محايدة».[2]

تكمن الرحلة فيما تحمل من قيمة فنية «فتزود القراء بمعلومات وصورة ممتعة وأخبار تلذ وتمتع وتستعرض الأحداث بصورة أدبية تتسق مع النفس البشرية، فتشكل رافدا ثرا من روافد الفن والمتعة الأدبية».[3]

ومن خلال هذه التعريفات يمكننا القول أن أدب الرحلة ظاهرة أدبية تتداخل فيها عدة عناصر أدبية وخارج أدبية، وأدب الرحلة يحمل قيمة وفائدة تكون بذكر الحقائق والمعلومات الدقيقة عن البلدان والشعوب والأماكن لكن الامتناع والتشويق يتحقق في ذلك الأسلوب الفني الذي يخطه الرحال بيده وينقلنا من عالم الواقع إلى عالم الخيال، بكل ما يحمله من قدرة على التخيل والتصوير الفني.

وفي الأخير نجد أن هناك بعض الباحثين الذين يفرقون بين الرحلة وأدب الرحلة إلا أنهما مرتبطان ببعضهما البعض لأنه لا يمكن وجود لأدب رحلة إن لم تكن هناك رحلة بحد ذاتها ، فالرحلة هي الركيزة التي يتكئ عليها أدب الرحلات.

[1]- المرجع نفسه، ص19.

[2]- بورقبة مريم: أدب الر حلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا، ص20.

[3]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص20.

المبحث الثاني: نشأة الرحلة

المطلب الأول: قبل الإسلام

عرف الإنسان الرحلة منذ ولادته ، وكان في ارتحال دائم حسب الظروف ومتطلبات الحياة والتشكيل الاجتماعي واتسعت الرحلات على مر الزمان.

« لقد عرف العرب الرحلة منذ الجاهلية (قبل الإسلام) نتيجة لطبيعة الحياة البدوية القائمة على التنقل والترحال وذلك بغرض التجارة والصيد وكذا البحث عن الماء والكلأ خاصة في سنوات العجاف التي دفعتهم إلى الهجرة»،[1] ولقد أشار العديد من الشعراء إلى رحلات قاموا بها ومن هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني إذ يقول:

كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ يَومَ تَشَذَرتْ عَلى قـــارحٍ ممَّـا تَضَمَّنَ عَاقِـــلُ[2]

ويقول الأعشى:

كَأَنِّي وَرَحْلِـي وَالفِتَـــانَ وَتمرُّقـي عَلَى ظَهْرِ طَاوٍ أَسْفَع الخَد أَخْثَمَا[3]

«لقد سجلت الرحلة انتشارا واسعا عند العرب منذ القديم بلونيها: رحلة الظعائن والرحلة على الناقة كانتشار القبائل في تلك الصحراء أو انتشار الأل والطلول ومواطن النجعة، قطيعة المجتمع البدوي القائمة على النقلة والرعي وحماية مواطن الغيث وما يتصل بذلك من حروب تقطع وشائج الدم والحلف والحب جعلت من الجاهلي إنسانا عالقا بالأرض في شؤون حياته جميعا».[4]

[1] – ياسمينة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري "نماذج من رحلات القرن العشرين"، إشراف د، علي لطرش– قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي محند أو الحاج البويرة، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في اللغة والأدب العربي سنة 2012–2013م، ص39.

[2] – النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال، د.ط، مصر، 1911م، ص84.

[3] – الأعشى ميمون بن قيس: ديوان الأعشى، دار صادر، د.ط، بيروت، 1994م، ص187.

[4] – يسمينة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، مرجع سابق.

وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي قريش التجاريتين في الشتاء والصيف إلى الشام واليمن[1] يقول الله تعالى﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)** ﴾ **[سورة قريش 1-4]**

وإذا ما نظرنا في تاريخ العرب نجد أقدم رحلاتهم عن طريق البحر والتي كانت بدافع التجارة في أغلبها وبدافع المغامرة ولكن قلة هم من يرتحلون لأجل المغامرة.

يقول الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...**﴾ [سورة الحج الآية 5].

في هذه الآية الكريمة يلخص لنا الله تعالى رحلة الإنسان في هذه الحياة فهي أول رحلة قبل ميلاده،وهي من العدم إلى الوجود، ينتقل فيها من رحم أمه إلى رحم الدنيا ثم مرحلة العمر وفي الأخير إلى رحلته تحت الأرض.

«فالحياة كلها رحلة أو عملية حركة وتغير، تنقلب أثنائها كل الظواهر بين الحياة والموت والعودة مرة أخرى في شكل جديد »[2]

فالإنسان منذ ولادته وهو ينتقل في هذه الأرض، ومنذ أن خلق آدم عليه السلام حيث «تشير جل الكتب أن العرب قبل الإسلام اهتموا بالتجارة والتي كانت خارج بلدانهم برا وبحرا والغالب على الأمر أنهم عرفوا الملاحة، والإبحار منذ القديم ويظهر هذا من خلال رحلاتهم إلى بلدان متعددة وداع صيتهم في شرق الجزيرة، وحتى الهند،

[1]- نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المامون للنشر والتوزيع، ط.1، 1428هـ-2008م، ص1.

[2]- جان بياجيه: "أدب الرحلات"، مجلة عالم الفكر، المجلد 13 ،العدد4، وزارة الإعلام الكونية، مارس، 1983م،ص6.

وما ذكر في بعض المصادر من أن الإسكندر الأكبر فكر في غزو الجزيرة العربية وأنه ارتأى أن يتم ذلك عن طريق موانيها على الخليج العربي، حتى يقطع صلاتها بأسواقها في إفريقيا والهند، وهي الأسواق الرئيسية التي مونت العربي بالثراء. وبذلك يقطع عليهم هذه الموارد، كما أراد أن يقضي على سيادة العرب على الخطوط التجارية البرية والبحرية ويحد من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار البضائع الثمينة التي كانت تأتي من الشرق إلى أسواق مصر أو الشَّام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل، ومن هناك تنقل إلى أوروبا»[1]

«وعندما ظهر الإسلام وأطل على الجزيرة العربية نوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض»،[2] ونذكر من ذلك قوله تعالى﴿**سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قُلْ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)**﴾ [الأنعام الآية 11]

«ولما توهج نور الدعوة الإسلامية، أخذ المسلمون يجوبون البلاد وانزاحوا في أرجائها وميادينها، جهادا في سبيل الله وإعلاء لكلمته، ففاق العرب الأمم التي سبقتهم فيما خلفوه من أثار في ميدان الرحلات، وساعدهم على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فلقد كانت رحلة العرب المسلمين في فتوحاتهم الكبرى من الرحلات الهامة التي امتدت لتشمل أصقاعا واسعة من الأرض ليكون بعد ذلك في الاتساع في حدود العالم الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية من أكبر الدواعي إلى امتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار إلى الأمصار وامتداد أنظارهم إلى الآفاق البعيدة، والتوغل فيها، وشق قلب الصحراء، الأمر الذي يؤكد الخبرة البرية والبحرية، والجغرافية للعرب وغيرهم من الشعوب التي أسلمت».[3]

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص25.

[2]- فؤاد قنديل: ادب الرحلة في التراث العربي، ص29.

[3]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغرب، المرجع السابق، ص19.

«لعل أشهر وأقدم رحلة هي رحلة سلام الترجمان، ومجمل الرحلة هي أنه رأى في منامه، أن السد الذي يحجز يأجوج ومأجوج قد انفتح، ووقع الاختيار على سلام الترجمان باعتباره رجلا صالحا لمهمة الاستطلاع، فهو يتكلم بثلاثين لسان كما يقال فجهز كل ما يحتاجه، وفرج بعد أن زود بالكتب توصية لكل الملوك و الأمراء الذين تقع ممالكهم في طريقه للتسهيل من مهمته، فوصف سلام كل ما مر به في رحلته حتى وصل إلى مكان السد وتأكد أنه لا يزال سليما، وقد استغرق في رحلته هذه ثمانية عشر شهرا».[1]

إن العرب قبل مجيء الإسلام كانوا في معظم رحلاتهم يهدفون إلى التجارة وكسب الرزق ولقمة العيش ولكنها مهما بلغت شكلا من أشكال الازدهار، إلا أنها لا مجال لمقارنتها بالرحلة بعد الإسلام.

المطلب الثاني: بعد الإسلام

قبل مجيء الإسلام كانت العرب تمارس التجارة، وعرفوا البلدان وزاروا عدة أماكن في العالم، إلا أن هناك شيئا من النقص في رحلاتهم، فهي تنقصها العديد من السلوكات الحضارية فجاء الإسلام وكان القرآن الكريم بمثابة الحافز والدَّافع لهم في الرِّحلة فلقد دعا الله تعالى الإنسان إلى البحث عن أسباب رزقه الحلال في هذه الحياة إذ يقول عز وجل﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)**﴾ [سورة الملك الآية15].

إن الله تعالى في هذه الآية يدعوا البشر كافة للبحث عن لقمة العيش ومعرفة كيفية التأقلم مع الحياة.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الوسائل التي تسهل لهم الترحال يقول عز وجل﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32)**﴾ [سورة إبراهيم الآية].

[1] – عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرن السابع والثامن هـ)، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د.ط)، 1996م، ص50.

«وترد كلمة الفلك في عدة آيات بما يدل على أن العرب كانوا على علم بها لأنهم صنعوا السُّفن وأبحروا وتاجروا واصطادوا من خيرات البحر»[1] وقوله تعالى﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66)**﴾ [سورة الإسراء الآية 66].

قال الله تعالى﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)**﴾ [سورة البقرة الآية 164].

وهكذا توجه الله عز وجل بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض من أجل الانتفاع تجارة أو صيدا، وقد كانت تلك الدعوات تشجيعا لهم على تحمل مشاق السفر و تدريبا على حمل الرسالة ونشر الدعوة في مختلف الأمصار شرقا وغربا[2]

«وكانت إحدى أسس الإسلام الخمسة هي حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا وقال سبحانه في سورة الحج (27)»[3] ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28)**﴾[سورة الحج (27-28)].

فالحج إذا فريضة على كل مسلم ما استطاع لذلك سبيلا، ولا يكتمل إسلام المرء دون الحج.

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرّحلة في التراث العربي، ص29.
[2]- المرجع السابق، ص30.
[3]- المرجع السابق، ص31.

«فالإسلام يسعى من وراء دعوته للرحلة والسير في الأرض أن يتسلح المرء بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للأشياء، حتى يستطيع استخلاص الدروس الحقيقية المتجردة، والعبر الواقعية، ذلك لأن أوامر القرآن الكريم هادفة وهادية فضلا عن كونها مبرأة من اللغو والعبث».[1]

«كما حرص الإسلام على طلب العلم، وجعل مقام العلماء بعد الأنبياء، ومن أشهر الرحلات في الإسلام: رحلة الإسراء والمعراج، رحلة أبي ذر الغفاري لفهم تعاليم وقواعد الإسلام، رحلات التجسس، رحلات الوفود لاعتناق الإسلام، رحلات الرسل لتبليغ الدعوة الإسلامية، رحلات لفهم أحكام الشريعة، الرحلة لمراجعة الأحاديث النَّبوية، رحلات التُّجار».[2]

تعتبر المدينة المنورة ومكة المكرمة أساس الحضارة الإسلامية ومركز للعلم، فكان العلماء يرتحلون لها من أجل العلم والمعرفة فكانت أشهر الرحلات من أجل طلب العلم، ونشر الدين الإسلامي والفقه وفي الأحاديث النبوية إلى جانب هذه الرَّحلات هناك رحلات البعوث منها رحلات بن فضلان وسبب هذه الرحلة هو معرفة ملك الصقالية التعاليم الإسلامية الصحيحة.[3]

«وهكذا فإن الرحلات تختلف باختلاف الأغراض الإنسانية التي زادت بعد مجيء الإسلام الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية، وعدد دوافعها، وبهذا بلغت الرحلات ذروتها وارتفع شأنها وقيمتها، خاصة خلال فترة الفتوحات الإسلامية، وما تلاها من عصر الاستقراء والمعرفة والحضارة، مرورا بمراحل الخضوع والاستسلام لمحتل قوي».[4]

[1]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط.1، القاهرة، 1416هـ-1996م، ص18.

[2]- عواطف محمد نواب، الرحلات المغربية الأندلسية، ص27.

[3]- المرجع السابق، ص52.

[4]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص20-21.

إذن الرحلة بعد الإسلام اتخذت طابعا آخر، إذ «صارت فنا عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري، والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز».[1]

وفي الأخير نستنتج أن العرب عرفوا السفر ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة، وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم وأبحرت سفنهم في مياه المحيط الهندي شرقا وغربا، قبل مجيء الإسلام الذي وسع بدوره أفاق الرحلة العربية، وبهذا بلغت ذروتها، وقيمتها خصوصا خلال فترة الفتوحات الإسلامية.

[1]– عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، د.ت، ص7.

المبحث الثالث: أنواع الرحلة وأقسامها

المطلب الأول: أنواع الرحلة

الرحلة فعل طبيعي عند الإنسان، عرفه منذ عرف الحياة على هذا الكوكب رغم صعوبتها، إلا أنه كابد أثناء القيام بها واجتهد لإنجازها. ومع تقدُّم الحياة والأزمنة، تيسرت الرحلة شيئا فشيئا وخصوصا عند العرب بعدما انتشرت رقعة الإسلام، فتعددت أنواعها، وذلك من خلال الأساليب والغايات التي كانت تقام من أجلها فأبدعوا في كتابتها وصفا وتدوينا.

«وقد عرفت الرحلات عند العرب أنواعا كثيرة، وقد حاول الدارسون تصنيفها، وحصرها في أنواع عامة لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فعين صلاح الدِّين الشامي ستة أنواع للرحلة، ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام هي: رحلة الحج ورحلة الحرب، ورحلة السفارة، والثلاثة الأخرى ظهرت بمجيء الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم و رحلة التجوال والطواف».[1]

الرحلات التي ظهرت قبل الإسلام هي: رحلة الحج، رحلة الحرب، ورحلة السفارة.

رحلة الحج: وكان منها الترحال والسفر لكسب قوت المعيشة والتعرف على العادات والتقاليد للأمم والبلدان المجاورة.

[1]- صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأ المعارف، د.ط، الإسكندرية، 1982م، ص71.

رحلة الحرب: «وظفتها النظم الحاكمة في المدينات القديمة، وكانت في خدمة العمل العسكري البحت، ولقد جهزت هذه الرحلة وأعدت لكي تطارد العدوان وتردعه وتحبطه، ولكي تدعم الأمن وتؤمّنه، واصطحبت الخبرة الجغرافية هذه الرحلة في الذهاب والإياب لكي ترشدها في الكر والفر».[1]

فمرحلة الحرب كانت وظيفتها خدمة العمل العسكري وتأمينه من العدوان بوضع خطط ملائمة.

رحلة السفارة: «إذا كانت المصالح الدولية قد تشابكت وتعددت في العصر الحديث إلى الحد الذي رأينا فيه كل دولة بها وزارة للشؤون الخارجية يتبعها جمع من السفراء الذين توفدهم إلى مختلف دول العالم»،[2] لكي يكونوا بمثابة همزات وصل في نقل وجهات نظر دولهم إلى الدول الأخرى حول مختلف القضايا الحياتية (سياسية، اقتصادية، وتعليمية...).

وبعد ظهور الإسلام أضاف ثلاثة أنواع وهي رحلة الحج، ورحلات أخرى كرحلة طلب العلم، ورحلة التجوال والطواف، وتمثلت هذه الإضافة في تلبية حاجيات الناس التي كانت لها أهمية في استمرار الحياة.

رحلة الحج : واختلف الهدف من السفر والتجوال قبل الإسلام إلى اعتباره فريضة دينية، فالحج يعتبر ركنا من أركان الإسلام حيث كان الهدف من هذه الرحلة هو أداء فريضة الحج «وهي فريضة بالنسبة لحجة العمر أو سنة لما زاد عليها أو واجب وفاء بنذر».[3]

لقوله تعالى:﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)﴾ [سورة آل عمران الآية97].

[1]- المرجع نفسه، ص63.

[2]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، ص26.

[3]- المرجع نفسه، ص25.

رحلة طلب العلم: «كان طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات»،[1] وذلك بغرض الاستزادة من العلم في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها.

فالإسلام أولى أهمية بالغة للعلم وذلك في قوله تعالى﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)**﴾ [سورة العلق الآية1].

رحلة التجوال والطواف: وهذه الرحلة تندرج ضمن الرحلات السابقة فلا يمكن أن تستقل بذاتها فقد يكون هذا المرتحل أو المتجول عالما ومحاربا أو تاجرا، وقد تكون لمعرفة المعالم أو التجوال من أجل هدف معين وخروجه يكون وفقا لمتطلبات شخصية (ذاتية).

وبعد تطرقنا لأنواع الرحلات التي ظهرت قبل الإسلام وبعده وبالإضافة لهذه الرحلات سوف نركز على الرحلات الأكثر شيوعا وهي: الرحلات العلمية، الرحلات الدينية، الرحلات الاقتصادية، والرحلات الرسمية.

1- الرحلات العلمية:

وهي من أشهر الرحلات وأكثرها شيوعا، ويتعدد هذا النوع بتعدد أغراضه ومقاصده، فهناك الرحلات الاستكشافية، والرحلات الدراسية، ورحلات لقاء العلماء والأخذ عنهم، ورحلات التنقيب والقراءة والبحث.

«وأول من حقق هذا النوع من الرحلات النبي موسى عليه السلام بأمر من الله **تعالى وتوجيهه، مثلما حث الدين الإسلامي على هذا النوع من الرحلة»،[2] إذ قال الله تعالى حول هذا المضمون: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)﴾** [سورة التوبة الآية 122].

[1]- حسن نصار: أدب الرحلة إشراف محمد علي مكي، دار نوبار للطباعة، ط.1، القاهرة، 1991م، ص32.

[2]- سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النّشأة والتطوُّر والبنية، ص24-25.

فكان لقاء سيدنا موسى عليه السلام في رحلته العلمية بالرجل الصالح، الخضر عليه السلام واصطحابه لغرض التعلم، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60)﴾ [سورة الكهف الآية 60].

كذلك تعد الرحلة نشاطا فكريا وهذا ما نوَّه إليه عبد الرحمان بن خلدون في مقدَمته الشهيرة إذ قال: «والرحلة لا بد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال وهذا ما يجعل الرحلة تكاد تكون شرطا من شروط التحصيل، وبلوغ درجة عليا من المعرفة والتّفوّق».[1]

وكان الهدف قيام الرحال بهذه الرحلات من أجل اكتشاف مواطن الناس والتعرف على المناهج الجديدة أو الحصول على كتب يرغب في الاطلاع عليها أو التعرف على رجال الدين.

فهذه الرحلات تحتوي الكثير من المعارف سواء كانت جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية، التي يكتبها الرحالة في غالب الأحيان جراء اتصالهم المباشر، فالرحالة يمثلون دور الناقل لهذه الظاهرات، «فإن كان علم الجغرافيا مثلا يدرس ظاهرات سطح الأرض الطبيعية والبشرية، ويقوم منهجه في ذلك على تسجيل هذه الظاهرات وتفسيرها وتوزيعها على سطح الأرض، فإن الرحالة وهو يدون مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض، إنما يعمل على خدمة هذا العلم».[2]

ولم تقتصر الرحلات عند المسلمين على طلب العلم والأخذ عن الشُّيوخ بل تعدت ذلك: «إلى نشر علومهم، ومعارفهم في المدن والأمصار، وتلقين دروسهم للراغبين في ذلك وهو ما يدخل في مجال الدعوة إلى الله وتعليم الإسلام».[3]

[1]- الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، (د.ب)، (د.ط)، (د.س)، ج1، ص79.
[2]- حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط.2، بيروت، لبنان، 1983م، ص7.
[3]- سميرة انساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، ص26.

ومن رحلات الغرب الإسلامي «ما اتسمت بالطابع العلمي التوثيقي، يمكن أن نلاحظ هذا في رحلات ابن رشد ابن رشد العبدري، التجيتي، البلوي».[1]

وفي الأخير نستنتج أن الرحلة العلمية كان الهدف منها هو التزود بالمعلومات والأفكار المهمة للرحال واكتشاف مواطن الناس على هذه الأرض.

2- الرحلات الدينية:

وكما هو ظاهر من اسمها فإن السبب فيها هو ديني خالص، منها الرحلة للحج، وقصد البقاع المقدسة، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو العامل الذي يقضي بشدة على الرحال من كل حدب وصوب إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، الواجبة على كل مسلم ما لم يعقه عائق من ضعف أو قلة المال قال الله تعالى﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)**﴾ [سورة الحج الآية 27].

وكان للحكام والأمراء الفضل في تيسير الرحلة إلى الحجاز لكل الحجاج من الغرب، والشرق، ويقول محمد حسين فهيم حول هذا المضمون نقلا عن محمود الصياد «أن الحجاج كانوا يتجمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلما تقدم بها الطريق، مما ينضم إليها من وفود حتى يصبح في النهاية للعراق حجيجة، وللشام حجيجة ولإفريقيا حاجها، وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل، يحميها جنود الحكام».[2]

ومن العوامل الدينية التي ساعدت على الارتحال في فجر الإسلام هو جمع الحديث وتحصيله، ومنه جاءت رحلة الصحابة والتابعين «ولما كان الحديث النبوي هو المصدر الثاني للإسلام وكان منه بهذه المثابة فقد أعطاه العلماء غاية اهتمامهم وبدلوا من أجل الحديث وأسانيده كل ما في وسعهم، حتى رحلوا المسافات البعيدة، على

[1]- الحسن المشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ص80.

[2]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص90.

بعد الشقة وعظم المشقة طلبا للحديث، وبحثا عن أسانيد الحديث بل عن إسناد الحديث الواحد»،[1] وذلك امتثالا لقوله تعالى:.﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)**﴾ [سورة التوبة الآية 122].

ومن قبيل ذلك نجد «رحلات الرسل لتبليغ الدعوة الإسلامية، ورحلة الإسراء والمعراج التي قام بها الرسول الكريم، ورحلات الوفود لاعتناق الإسلام، ورحلات الصحابة لتعليم قواعد الإسلام...»،[2] وغيرها من الرحلات التي كان الهدف الأساسي منها مرتبط بالعقيدة والدّين.

يعتبر أبو بكر الهروي «أشهر الرحالين المختصين في المزارات المتبرك بها وقد دونت تنقلاته، تحت عنوان " الإشارات إلى المعرفة الزيارات" وهو دليل على زيارة الأضرحة، والمقامات المشيدة في البلدان الإسلامية ومن بينها لا تخلو كتابة من إفادات جغرافية وتاريخية عن الأقاليم التي تمر بها».[3]

إذن فقد كانت الرحلة في طلب الحديث من أهم الأسباب التي دفعت الصحابة والتابعين إلى الرحلة في العهد الإسلامي الأول، فقد كانت منهجهم في التحصيل العلمي.

3- الرحلات الاقتصادية:

كانت التجارة عند العرب منذ القديم دافعا لإنجاز الرحلة فهو أمر يقتضي السفر البعيد والسَّعي في سبيل الكسب برا وبحرا وبعد الموقع الجغرافي الاستراتيجي للبلاد العربية وكونها مركز لالتقاء الطرق التجارية بين القارات، شجع العرب على ممارسة الترحال من خلال ما سمي برحلتي الشتاء والصيف، وهذا ما أدى إلى تطور الحياة

[1]- الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عنتر، سلسلة روائع تراثنا الإسلامي، ط.1، دمشق، 1975م، ص16.

[2]- ينظر: عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص42.

[3]- جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م، ص26.

الاقتصادية في العالم الإسلامي، واتسع نطاق التجارة عند المسلمين « فانتشرت قوافل التجار المسلمين في القسم الأعظم من العالم المعروف في ذلك العهد، و خاضت سفنهم عباب بحار الصين والمحيطات وازدهرت على أيديهم الطرق التجارية بين بحار الصين وأسيا الوسطى وسواحل البلطيق و الأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي».[1]

ولهدا كانت الرحلات الاقتصادية بغرض التجارة، وتبادل السلع، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلاد المسافر، وقد تكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص، واليسر، والوفرة أو للعمل «فقد قاموا برحلات من اجل التجارة، وهم أولئك الرّحالة الذين جابوا البحار والمحيطات وسافروا عبر المغاور والشعاب ينتقلون وينقلون بضائعهم من بلد إلى آخر وقد يقضون في متاجرتهم هذه سنين عدة».[2]

كما يمكن للإنسان أن يرتحل «لأغراض العمل وممارسة بعض المهن، أو لغرض طلب إعانات من دول شقيقة، وتخلص من ديون عالقة، وغيرها من الأسباب المرتبطة بطرق الكسب».[3]

إذن نستنتج أن الرحلات الاقتصادية وعلى وجه الخصوص التجارة «التي كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات، علم تقويم البلدان والمسالك والممالك لوصف الطُّرق، والمناخ، والعديد من الأمور الأخرى».[4]

4- الرحلات الرسمية:

كان اتساع رقعة الدولة الإسلامية أثر في ظهور هذا النّوع من الرحلات وذلك من قبل الحكام والأمراء، ويضم هذا النوع «كلا من الرحلات التكليفية والإدارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها تفقد أمر الرعية، أو

[1]- زكي محمد حسين: الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، مؤسسة هنراوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، (د.س)، القاهرة، ص10.
[2]- لخضر حشلافي: الرحلة المغربية قضايا و ظواهر، دار الضحى، الجلفة، ط.1، 2017م، ص50.
[3]- سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، ص29.
[4]- نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية الغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، ص47.

تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، والإتيان بأخبارها، فقد تكون في إيطار التجسس أو الاستطلاع».[1]

«عدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم وهي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكلفون بها، إذا كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الإسلامية وعلو شأنها، فالسفير ممثل لدولته و عنوان لرقيها، وكانت السفارة لا تنقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول لأغراض ومقاصد متنوعة إما لتصفية الأمور السياسية أو المقصد الصلح».[2]

«فالرحلات التي أرسلت لتأدية مهمة رسمية أو سفارة بين الدول التي ترتبط، بعلاقات وثيقة، وهي رحلة خاصة ممولة من قبل السلطة المركزية في الدول، وقد خطط لها مسبقا ولها أهداف معلومة، وأغراض محددة منذ البداية ».[3]

إذن نستنتج بأن الرحلات السفارية مرتبطة بتبادل السفارات بين الدول الإسلامي أو بينها وبين الدول الأجنبية وغالبا ما يسكت الرحالون عن الهدف الأساسي من سفاراتهم ويكتفون بالإشارة إلى الرغبة في استمرار السلام والعلاقات الحسنة مع البلدان المجاورة «وتحدثت كتب التاريخ عن العديد من السفراء ودورهم المتميز في الدفاع عن بلدانهم وتحديد مواقفهم من حضارة الآخر».[4]

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن هذه الرحلات أدت دورا هاما في تحقيق تلك الأنشطة وما لها من توطيد العلاقات بين الشعوب وتحقيق التعارف فيما بينها حيث تكشف لنا هده الرحلات ما لا يخبرنا عنه التاريخ فلكل رحلة قيمة سواء كانت علمية أو أدبية أو دينية.

[1]- سميرة انساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، ص30.
[2]- ينظر: نوال الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص40.
[3]- لخضر حشلافي: الرحلة المغربية قضايا وظواهر، ص51.
[4]- المرجع نفسه، ص51-52.

المطلب الثاني: أقسام الرحلة

1- الرحلة الواقعية:

وهي رحلة قام بها الرحالة حقيقة ووقعت «ضمن مكان وزمان معينين، وينتقل فيها الرحالة من مكان جغرافي محدد إلى مكان جغرافي آخر»[1]

إذن فهي رحلات تمت على أرض أو بلاد معينة ولها زمان ومكان محدد يبين وقوعها، كما أن هذه الرحلة تكتب في «وضعيات مختلفة بأساليب تتأرجح بين التقرير الجاف، والانسياب الرومانسي المندثر بالمعاناة وغلالات من المحنة والبعد عن الوطن والأصحاب».[2]

هذا النوع من الرحلة المدونة عبر عن الحياة التي كان يعيشها الإنسان وقد عرَّف تناميا لارتباطه بالدين «الذي حث على السفر والحج للتطهير من الآثام والشعور بالارتياح لبدء حياة جديدة تكون عتبة للحياة الأخرى أو لتزكية الحياة السابقة وتتويجها، والتبرك بالأماكن المقدسة».[3]

وفي الأخير نستنتج أن الرحالة في الرحلة الواقعية يكتب وينقل لنا ما شاهده وعاشه في البلاد التي زارها بدقة كونه تنقل بجسده حقا فيها.

---

[1]- ياسمينة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة ، الجزائر نماذج من رحلات القرن العشرين، ص37.

[2]- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، مكتبة الأدب المغربي، (د.ط)، أبريل 2002م، ص129.

[3]- المرجع نفسه، ص130.

2- الرحلة الخيالية:

وعادة ما تكون على لسان رحالة وهمي حيث «يقترب الفيلسوف العربي "الكندي" من التخييل عبر مفردة أخرى اصطلح عليها بالتوهم، وعرفه بأن "الفانطاسيا" وهو قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها، ويقال الفانطاسيا هي التخيل وهو حضور صور الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها».[1]

يعد هذا التعريف المعبر عن الرحلة الخيالية التي لا تأسس في الوجود الفيزيقي، أو تتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي وبالتالي هي «نوع من القصص الخرافي والأسطوري كتبه الأدباء معتمدين على خيالات مجنحة، وأساليب مشوقة قصدوا من ذلك التسلية، وخلق أجواء هي من بنات خيالهم الإثارة المغامرة، وتوسيع الخيال مثل قصص "جونا ثان سويفت" الخيالية».[2]

فالرحلة الخيالية «هي الانتقال المتخيل الذي يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم بعيد، عن عالمه الواقعي، ليطرح في هذا العالم رؤاه وأحلامه وآلامه التي لم تتحقق في دنيا الواقع»،[3] فمن الطبيعي أن المرء إن لم يستطع الحصول على شيء ما فإنه يتخيله، ويتوهم حدوثه ويعبر به إلى آفاق اللا واقع التي تختفي فيه النقائض «وفيه يقوم الفلاسفة والمفكرون والأدباء برحلة خيالية خارج عالمنا ليعبروا برمزية عما لا يستطيعون التعبير به صراحة، على النحو ما فعل ابن شهيد الأندلسي في رسالة التوابع والزوابع وأبو علاء المعرّي في رسالة الغفران».[4]

وتعتبر هذه الرحلة من نسيج خيال الكاتب، تحدث ضمن زمان ومكان متخيلين «يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصور مغامرات خارقة بقصد التسلية وإثارة الخيال».[5]

---

[1]- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، ص46.

[2]- بورقبة مريم: أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين(الرحلة الجزائرية) أنموذجا، ص18.

[3]- محمد الصالح سليمان: الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، 1999م، ص09.

[4]- الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوّره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط.1، 1987م، ص324.

[5]- مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات الغربية في اللغة والأدب العربي، ص176.

وفي الأخير نستنتج أن الرحالة في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه وجسده، فهذا النوع لم يكن طارئا في فترة معينة أو حكرا على بيئة أو شعب معين.

- الفرق بين الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية:

1- الرحلة الواقعية كما سبق وذكرناها هي رحلة قام بها رحالة حقيقيون وقعت ضمن مكان وزمان معين في حين الرحلة الخيالية هي نسيج من خيال الكاتب تحدث في زمان ومكان متخيلين.

2- إذا كان الرحال في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه لا بجسده، فإن الرحال في الرحلة الحقيقية تكون رحلته بطريقة مباشرة ووجها لوجه مع العالم الحقيقي، وينقل ما شاهده.

3- وفي الرحلة الخيالية يطلق الكاتب العنان لأفكاره ومشاعره لتنقله «بعيدا عن واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى وأزمنة متباعدة».[1]

4- ونجد بعض الرحالة في سردهم للأحداث يقومون بالمزج بين الواقع والخيال أو بعبارة أخرى يذكرها لنا حسين ناصر بقوله عن الرَّحالة إنه «يتخذ أساس من الواقع ثم يدبر حوله وقائع مبتكرة كما فعل القصاصون مع رحلتي الإسراء والمعراج».[2]

5- من هذا القول نجد أن المنطلق الأساسي للخيال هو الواقع إذ أن الرحلة الخيالية تتعدى الواقع إلى ما وراءه وتتحدى المألوف فهي لا تتقيد بزمن محدد «فلا تقتصر على الماضي لا البعيد ولا القريب تتعداه إلى الحاضر المعاصر المؤلف إلى المستقبل».[3]

[1]- محمد حسين فهيم، أدب الرحلات، ص150.

[2]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة، الشَّركة المصرية العالمية للنشر، (د.ب)، ط.1، 1991م، ص49.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: الخطاب الجغرافي والثقافي في رحلة ابن الدين الأغواطي

تمهيد: التعريف بصاحب الرحلة وناقلها

أولا: التعريف بصاحب الرحلة

ثانيا: التعريف بناقلها

المبحث الأول: الخطاب الجغرافي في رحلة ابن الدّين الأغواطي

المطلب الأول: تعريف الجغرافيا

المطلب الثاني: رحلة الأغواطي

المطلب الثالث: رحلة من الأغواط إلى متليلي بواد ميزاب

المطلب الرابع:رحلة من متليلي إلى المنيعة

المطلب الخامس: رحلة من المنيعة إلى توات

المطلب السادس: رحلة من ورقلة إلى غدامس

المطلب السابع: رحلة من مطماطة ونواحيها

المطلب الثامن: رحلة من جزيرة جربة

المطلب التاسع: الدرعية (الجزيرة العربية)

المبحث الثاني: الخطاب الثقافي في رحلة ابن الدين الأغواطي

المطلب الأول: تعريف الثقافة

المطلب الثاني: علاقة القائد بالرعية والشعب

المطلب الثالث: صورة المرأة

المطلب الرابع: الحياة الدينية للشعب الجزائري

تمهيد: التعريف بصاحب الرحلة وناقلها

أولا: التعريف بصاحب الرحلة

يعد الحاج ابن الدين الأغواطي حسب مترجمه وليام هدسون (william henry hudson) أنه «لم يكن معروفا على مستوى الجزائر في وقته رغم أن هذا الاسم –إبن الدين– كان موجودا في المناطق التلّية بالجزائر، وقد سألنا عنه بعض المثقفين من أهل الأغواط فأفادونا أن عائلة ابن الدين مازالت موجودة وأنه كان معروفا في وقته وأنه كتب عملا استحوذ عليه الفرنسيون، وعلى الخصوص شيخ بلدية مدينة الجزائر».[1]

حيث ولد الأغواطي «ببلدة قمار ولاية الوادي جنوب شرق الجزائر في الأول من يوليو سنة 1930م، درس بجامع الزيتونة من سنة 1947م حتى 1954م واحتل المرتبة الثانية في دفعته، بدأ يكتب في صحيفة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1954م، وكان يطلق عليه الناقد الصَّغير».[2]

ثانيا: التعريف بناقلها

ويليام هدسون: «(1841–1922م)، هو عالم طيور وروائي وكاتب سيناريو، وكاتب من المملكة المتحدة ولد في كويلمس، توفي في لندن عن عمر يناهز 81 عاما».[3]

[1]– أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، ط خاصة، 2011م، ص80.

[2]– (https: //www.googe. com/search) 22/05/02021 –19:07.

[3]– 22/05/2021 –19:07، (hhtps:// ar.am. wikipedia.org) هدسون ويليام.

«ولد ويليام هدسون كويلمز، على بعد أميال قليلة جنوب بوينس ني ايرس، الأرجنتين، وكان ابن دانيال هدسون وزوجته كاثرين المستوطنون الأمريكيون من أصل إنجليزي وإيرلندي في الجنو بمحيط pulperia في عام 1846م».[1]

«جاء هدسون إلى الجزائر سنة 1825م لكي يساعد شيلر في مهمته كقنصل عام لبلاده في الجزائر، وكانت خبرة هدسون باللغات الشرقية هي التي أهلته لهذه المهمة، ومن هذا التاريخ قد تعرف هدسون على الحاج ابن الدين الأغواطي بين سنوات (1825-1889م)، كما أنه عمل على ترجمة ونشر رحلة ابن الدين الأغواطي التي نحن بصددها».[2]

وكان هدسون من المهتمين بالبربرية وأنه « يعتبر من أوائل المستشرقين المهتمين بهذه اللهجة، وفي هذا النطاق تأتي رحلة الحاج ابن الدين، فهدسون يذكر أن "هدفي الأساسي من الحصول على هذا المخطوط هو التأكيد على امتداد رقعة اللغة البربرية"».[3]

« توفي هدسون في كنسينغتون عام 1922م، ودفن في مقبرة برودووتر وردينج في 22 آب أغسطس».[4]

[1]- 22/05/2021 -19:07، (hhtps:// ar.am. wikipedia.org) هدسون ويليام.

[2]- أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص81.

[3]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص62.

[4]-(https://ar.am.wikipedia.org) 22/06/2021 -19:07هدسون ويليام

المبحث الأول: الخطاب الجغرافي في رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي

المطلب الأول: تعريف الجغرافيا

الجغرافيا: «هو علم يدرس الأرض والظواهر الطبيعية والبشرية عليها، ويعود أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية، وترجمتها بالعربية هو " وصف الأرض"».[1]

وعلى هذا الأساس فالجغرافيا هي وصف الأرض أو دراسة المكان وفي تعريف آخر للجغرافيا «تطور مدلول كلمة الجغرافيا وتعددت تعريفاتها بين الباحثين مع مرور الزمن، وعلى الرُّغم من اختلاف التعريفات لعلم الجغرافيا إلا أنها واصلت تمحورها بصفة عامة حول دراسة الإنسان والأرض باعتبارها موطنا للإنسان وإدراك ما بينهما من علاقات توزيعا وتحليلا وتعليلا».[2]

ولذلك فإن الجغرافيا هي وصف الأرض ودراسة العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة.

المطلب الثاني: رحلة الأغواط

«تقع مدينة الأغواط جنوب الجزائر العاصمة، وتبعد عنها بحوالي 400كلم وتمتد بساتينها ومبانيها على ضفة وادي مزي، الذي يأخذ مجراه من جبال لعمور غربا ويتوجه نحو الشرق ليحمل اسم آخر واد جدي والذي يقسم إلى شطرين وهو يجري وسطهما، ويمر بعدد من واحات الزيبان التي تصب في شط ملغيغ بالجنوب».[3]

[1]- رويدة فؤاد عبد الله: الجغرافية العامة -قسم التاريخ- محاضرة الأولى، 01/06/2021-18:45.

[2]- بوشنافة عبد العزيز: الجغرافية الطبيعية -محاضرة1- ماهية الفكر الجغرافي وتعريف علم الجغرافيا، 01/06/2021-18:45.

[3]- إخلاص علاق: مبارك الميلي ودوره الإصلاحي في منطقة الأغواط 1896م-1945م، إشراق ميسوم بلقاسم، قسم العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، مذكرة ماستر، 2018-2019م، ص8.

تطرق الأغواطي في رحلته إلى الأغواط بوصف موجز للمدينة، ذكر فيها بعض المظاهر مثل المنازل المبنية بالحجر والبلاط والمساجد وذكر العملة المتداولة...

ومن خلال رحلته إلى الأغواط تمكن من زيارة المدن المجاورة لها وهي تجمعوت وعين ماضي وجبل عمور، حيث تقع تجمعوت مسافة مسيرة يوم شمال الأغواط يحدها شمالا جبل عال جدا يسمى جبل عمور وبيوتهم مبنية بالحجر والطين، أما عين ماضي فهي بلدة تقع غربي تجمعوت وأنها محاطة بأسوار ولها بابان عظيمان، وفي وصفة لجبل عمور يعلق بأن جبالها جبال عالية جدا «وفيها مائة عين جارية، وينبع من نهر كبير يسمى نهر الخير ومشهور عند الجميع»،[1] الأمر الذي يجعل هذه المنطقة معلما جغرافيا معروفا، وبتوفر المياه فإن الزراعة تكون ممكنة ومزدهرة وهذا ما ذكره الأغواطي «أرض هذا الجبل صالحة للزراعة وفيها كل أنواع الخشب».[2]

وفي الأخير نلاحظ أن مدينة الأغواط تتميز بطابعها السهبي والفلاحي، حيث أنها تزخر بمساحات هضابية شاسعة وسهول واسعة، كما تمتاز بساتينها بإنتاج الفواكه والتين والسَّفرجل...دون أن ننسى أنها محاطة بالجبال العالية الشَّامخة التي تعتبر حدودا للمنطقة.

المطلب الثالث: رحلة من الأغواط إلى متليلي بوادي ميزاب

الرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، ومن وراء كل رحلة دافع لكي تمضي على الطريق ومن بعد كل رحلة هدف أو غاية تجاوب إرادة الحياة. وهذا ما نجده عند الأغواطي من انتقاله من رحلة الأغواط إلى رحلة متليلي بوادي ميزاب، حيث أن المسافة بين المدينتين هو يوم واحد فيقوم الأغواطي كالعادة بوصف المنطقة وذكر أهم ملاحظاته الجغرافية في منطقة متليلي ووادي ميزاب، حيث يرى بأن منطقة متليلي لا ينمو فيها إلا شجرة البطم وذلك لانعدام الماء، الذي لا يتوفر إلا من خلال استخراجه بالطواحين، وأن وجه الأرض فيها صخري

[1] – أبو القاسم سعد الله: مجموع الرحلات، ص89.

[2] – المصدر نفسه، ص89.

حاد« ووجه الأرض هنا ليس رمليا منبسطا بل هو عبارة عن هضاب مغطاة بصخور حادة، تقطع كالسكاكين وينمو هنا النخيل وقلما تنزل المطر».[1]

ثم انتقل الأغواطي من متليلي إلى وادي ميزاب الذي يشتمل على «ستة بلدان وقرى أكبرها غرداية، وتضم هذه البلدة ألفين وأربعمائة مسكن، بما في ذلك المساجد، ولا يستخرج الماء إلا من الآبار».[2]

وما يمكن قوله عن هذه الرحلة إن بيئتها تمتاز بالجفاف لقلة المياه، الأمر الذي يجعل الحياة هنا صعبة أما عن وادي ميزاب الذي يشتمل على ستة بلدان وقرى قد تأقلم سكانها بالاعتماد على الآبار من اجل الصمود في وجه هذا الغطاء النباتي والمناخ الحراري الذي لا يحفز على العيش الرّغد.

المطلب الرابع: رحلة من متليلي إلى المنيعة

عند انتهاء رحلة الأغواطي من متليلي بوادي ميزاب، انطلق برحلة جديدة إلى المنيعة وهي تقع جنوب الجزائر وتحمل عاصمتها نفس الاسم، وصفها الأغواطي بكثرة الآبار لها حدود مع منطقة الشارف وبالإضافة إلى المحطتين الأخريين هما السعداني وواد لشهب، حيث تعرف السعداني أن لها بئرا للماء ونبات الحلفة، أما في واد لشهب عكس ذلك «وفي السعداني بئر للماء ونبات الحلفاء أما في وادي لشهب فلا وجود للماء».[3]

فمنطقة المنيعة إذن منطقة رملية سكانها يستهلكون الماء من الآبار فهذه المنطقة تنتج التمر والحلفاء بكثرة.

ومن هنا انتقل الأغواطي في رحلة دامت خمسة أيام نحو ورقلة، وهي من أقدم المدن الصحراوية تقع شمال شرق البلاد وتعتبر ورقلة واحة رائعة الجمال تزينها الكثير من أشجار النخيل وذلك بفضل المجاري الباطنية التي توفر

[1]- أبو القاسم سعد الله: مجموع الرحلات، ص90.
[2]- المصدر نفسه، ص90.
[3]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص91.

مياه جوفية هائلة «ولورقلة منابع مائية كثيرة والماء فيها يجلب بالطريقة التالية: يحفر البئر على عمق مائة وسبعين ذراعا حيث يصل إلى البحر الحلو فيمتلئ البئر في الحال بالماء، ويصبح جدولا جاريا».[1]

إذن نلاحظ حسب الأغواطي أن منطقتي المنيعة وورقلة تزخران بالمياه الجوفية الأمر الذي يجعل الحياة فيهما ممكنة بحفر الآبار وجعل المناطق تتسم بجمال طبيعي خلاب وأول ما يأخذ الأنفاس جمال أشجار النخيل الشامخة في السماء.

المطلب الخامس: رحلته من المنيعة إلى توات

تعتبر رحلة الأغواطي من المنيعة إلى توات هي الرحلة الخامسة من رحلاته حيث تحتل منطقة توات موقعا جغرافيا استراتيجيا مابين شمال الصحراء والساحل الإفريقي المسمى من قبل الرَّحالة، والرحالة العرب بلاد السودان ومن المناطق المجاورة لها أوالن وصفها لنا الأغواطي أن لها آبارا وكذلك التمر وبأنها تقع في الصحراء وبيوتها مبنية من طين كما انتقل الرحالة من أوالن إلى الأحمر والتي تبعد عنها مسافة يوم التي يوجد بها بئر بعمق حوالي ثلاثين ذراعا، كما نجد مسافة يوم واحد بين كل المناطق المجاورة، ومن زيارته إلى منطقة توات تمكن من زيارة ستة مناطق وهي: تيميمون، أولف، عين صالح، القورارة، شنقيط، تنبكتو.

فعند زيارة الأغواطي لمنطقة تيميمون رأى أنها بلدة كبيرة جميعُ منازلها متراصة مبنية بطين وطوب ذات أسواق عامرة، وفي جنوب تيميمون تقع قرية أولف والتي تعتبر البلدة الرئيسية في واحة توات وهي أيضا بناؤها وأسوارها مبنية من طين ويوجد فيها السكان بكثرة «وبلدة أولف محاطة بأسوار مبنية بالطين وفيها الماء الوافر والتمر، وللسكان عدد كبير من العبيد».[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص92.

[2]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص94.

وبعد أولف نجد عين صالح التي زارها الأغواطي وتعتبر مدينة كبيرة حيث يدرجها بعض المؤرخين خارج الديار التواتية حيث قال: «وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب».[1]

مرورا بالقورارة التي تبعد يوما عن تيميمون، والتي تضم حوالي عشرين قرية، نجد شنقيط وتنبكتو التي يعتمد سكانها على الألبان ولحوم الإبل، أما القمح والشعير فغير معروفين لديهم.

إذن يتبين لنا بأن أطول رحلة لحد الآن للأغواطي هي هذه الرحلة والمقدرة، بمسافة عشرين يوما بين القورارة وشنقيط.

المطلب السادس: رحلة من ورقلة إلى غدامس

تعتبر هذه الرحلة السابعة من رحلات الأغواطي وهي منطقة تقع شمال شرق البلد، من خلال زيارته لمنطقة ورقلة تمكن من زيارة سيدي خويلد التي تبعد عنها مسافة يوم، وهي منطقة تقع وسط الرمال بنايتها من طين، وتزخر بوفرة المياه والتمر، ثم تنقل من سيدي خويلد نحو حاسي الناقة التي يتوسطها بئر للماء، وتنقل كذلك من حاسي الناقة إلى العين حيث تعرف بوفرة المياه وهي منطقة ذات مساحة شاسعة من الرمال، «عبارة عن مساحات شاسعة من الرمال ولا وجود فيها لحجر أو هضبة ما عدا كثبان الرمال».[2]

ومن هناك زار مدينة العاقر والطيبات وهي مناطق رملية، ومبانيها ليس لها أسوار وتعرف بكثرة الآبار المائية مرورا بالطيبات نجد الأبتر وهي منطقة تعرف بالجفاف.

[1]- المصدر نفسه، ص94.

[2]- ابو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص96.

ومن أبرز المناطق في هذه الرحلة وادي سوف التي تشتمل على عدد كبير من الدشور، وفي رحلته لوادي سوف انتقل إلى عميش التي مسافتها يوم، وهي قرية تقع على الحدود الجنوبية لوادي سوف والتي منازلها مبنية بالطين والآجور.

وعند انتهائه من عميش انتقل إلى غدامس التي تبعد مسافة ثمانية أيام، خلال هذه الأيام لا يمكن أن نجد شيئا لا قرية، ولا ماء، ولا هضاب، ولا صخور فلا يمكن أن يعيش في هذه الأرض لا الذئب ولا النمر وذلك راجع إلى طابعها المتمثل في الكثبان الرملية ودرجة الحرارة المرتفعة.

ثم انتقل إلى غدامس وهي بلدة مبنية بالطين، وفيها تمور كثيرة، تقع وسط الرمال والمسافة بين غدامس وتوات هي أربعة وعشرين يوما، كما تمكن الأغواطي من زيارة الطوارق، ومعرفة أهم مميزات سكان المنطقة ومن خلال ما ذكره يتبين لنا أنها منطقة تحتوي على مياه وغطاء نباتي «طعامهم من اللحم والحليب فقط».[1]

إذن يتبين لنا من خلال هذه الرحلة الطويلة أن المناطق فيها غير متشابهة من حيث المناخ والمياه والكثافة السكانية، فسيدي خويلد ووادي سوف يشتملان على عدد كبير من الدشور على عكس منطقة الأبتر الجافة القاحلة.

المطلب السابع: رحلة من مطماطة ونواحيها

مطماطة منطقة في الجنوب الشرقي التونسي غرب مدينة قابس. وعند زيارة الأغواطي لقرية مطماطة وجد أنها تقع على قمة جبل وهذا الجبل صعب المسكن نتيجة الحفر والعلو ومنازلها عبارة عن غرف مبنية من طين «ومطماطة قرية تقع قمة جبل لا ينزل المرء منه إلا بمنفذ خاص، وهذا النقب جاء نتيجة الحفر».[2]

[1] – أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص98.

[2] –المصدر نفسه، ص98.

وعند زيارته لمنطقة مطماطة قام بإطلالة على الأماكن المجاورة وهي قابس، قبائل أخرى، تقرت، فمنطقة قابس هي مسافة يومين بينها وبين مطماط لها انفتاح على ساحل البحر.

أما القبائل الأخرى فالمسافة هي مسافة يومين نحو الغرب منها في حين أن المسافة بين القبائل المجاورة لها هي نفس المدة المتمثلة في يومين كقبيلة النوائل وقبيلة محمد وهي عبارة عن قبيلة كبيرة والتي لها سلاسل طويلة، في حين قبيلة فزان تبعد شهر عن قبيلة محمد فهي أطول رحلة قام بها الأغواطي في مطماطة.

أكمل الأغواطي رحلته من مطماطة إلى تقرت التي تعتبر عاصمة المنطقة التي لها نفوذ على أربعة وعشرين قرية مجاورة بيوتها تتسم بالعلو، محاطة بالأسوار وهذه الأسوار يحولها خندق يشبه البحر «وهذه الأسوار محاطة بخندق يمكن مقارنته ببحر من الماء، وهذا يتصل بعيون ماء تصب جميعها فيه»،[1] حيث تمتاز المنطقة بمنارات عالية يمكن من خلالها مشاهدة عدد من القرى والغابات في المناطق المجاورة.

كما تعرف تقرت بعدم وجود صخور لكنها تعرف بمنابع مياه كثيرة، الأمر الذي يسمح بتنوع الفواكه في المنطقة منها الرمان، التمر، التين، والمشمش...

إذن مطماطة حسب وصف الأغواطي لها وللقبائل المجاورة أنها مناطق جبلية خالصة، فهي محاطة بمجموعة من الكهوف التي تستخدم كغرف منزلية في حين تقرت منطقة تزخر بمواصفات مكنتها من أن تكون عاصمة للمكان.

[1]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص100.

المطلب الثامن: رحلة جزيرة جربة

جربة هي جزيرة تونسية تقع في جنوب شرق تونس في خليج قابس، فعند زيارة الأغواطي لها وصفها لنا بأنها «جربة جزيرة وسط البحر تحيط بها حوالي ثمانية عشر ميلا»،[1] فحسب الرحال فإنها جزيرة واسعة، ولها منتوج وفير من الفواكه المختلفة، بحيث أن النخيل لا ينمو فيها وذلك لنزول المطر بكثرة عليها.

ويحد جربة أبواب «أجيم في الغرب، جرجيس في الشّرق، مرسى السوق في الشرق، ومرسى القنطرة في الجنوب».[2]

إذن يتبين لنا بأن جربة منطقة حدودية بين تونس والجزائر فهي جزيرة وسط البحر ما يجعل مناخها رطبا وذات بيئة معتدلة.

المطلب التاسع: الدرعية (الجزيرة العربية)

وهي مدينة عربية عاصمة الدولة السعودية، وتتميز الدرعية بأنها بلدة كبيرة ذات أسوار «وسنصف هذه البلاد وكذلك نجد والعرب والوهابيين، أن الدرعية بلدة كبيرة لها أسوار».[3]

وفي الختام نجد أن كلام الأغواطي في رحلته قائم على المشاهدة لا على مجرد القراءة أو السماع والاستنتاج، فهو حاول أن يعين مسالك ويوضح معالم، ويحدد مسافات بين مناطق ومدن، ويجلي طبيعة هذه الجغرافيا وهندسة البناء وغيرها.

[1]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص101.
[2]- المصدر نفسه، ص102.
[3]- المصدر نفسه، ص102.

المبحث الثاني: الخطاب الثقافي في رحلة ابن الدين الأغواطي

المطلب الأول: تعريف الثقافة

لم تشر المعاجم العربية القديمة إلى مفهوم "الثقافة" ولم تحددها تحديدا معينا، فابن منظور يقول في مادة (ث،ق،ف): «يقال ثقفت الشيء وهو سرعة التعلم»،[1] فالثقافة في المعاجم العربية القديمة تعني الذكاء والفطنة، أما في المعاجم الحديثة فهذه الكلمة لم تعد محصورة في الذكاء والفطنة وإنما تجاوزت هذا المدلول إلى مدلول أوسع وأرحب إذ تضم ميادين عدة فمجدي وهبة مثلا يشير إلى أربعة معاني للثقافة ونلخصها في النقاط التالية:

- الثقافة هي رياض الملكات البشرية والتي تتجسد في مختلف الإنجاز.

- إنها ترقية للعقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في مختلف الفنون والآداب الجميلة.

- تعد إحدى مراحل التقدم في حضارة ما.

- إنها من السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات.[2]

ومن خلال هذه التعريفات المتعددة يتبين أن الثقافة لا تقوم على تعريف أو مدلول واحد معين وإنما تشتمل على عدة معاني فكل دارس، يستخدم هذا اللفظ حسب مفهومه فهناك من يحصرها في جانب التقدم الحضاري بل ويجعلها مرادفة للحضارة، أي تجاوز مرحلة الحياة البدائية في حين هناك من يربطها بالجانب الفكري أي ثمرة ما أنتجه الفكر.

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مج1، ج6، ص492.

[2]- ينظر:مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط.2، بيروت 1994م- 1984م، ص123.

المطلب الثاني: علاقة القائد بالرعية أو الشعب

لقد استطاع الرحالة الجزائريون أن ينقلوا مختلف المعاملات والعلاقات التي تربط أفراد المجتمع الجزائري هذا ما تطرق إليه الأغواطي في رحلته حيث ذكر علاقة القائد بالرعية في تلك الفترة، وفي مقدمتها طبقة المحتل أما الطبقات الاجتماعية فنجدها تنقسم إلى ثلاثة طبقات: طبقة أصحاب المال وطبقة المزارعين والحرفيين وأخيرا طبقة العبيد.

تتميز هذه المناطق بأن لكل منطقة حاكما أو سلطانا أو شيخا فلكل منطقة تسميتها وعادة ما تكون هناك خصومة بين أهل القرية بسبب طاعة شيخ البلدة «فريق يسمى الأحلاف وفريق يسمى أولاد سرقين، وهم غالبا في حالة حرب بينهم وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة»[1]

كما نجد قرى ليس لها حاكم مثل قرية تجمعوت «وينقسم مكان هذه القرية إلى فريقين وليس لهم رئيس أو حاكم»[2] وأيضا جبل عمور «ولا يحكمها أي سلطان».[3]

بالإضافة إلى قرية شنقيط التي أفراد مجتمعها يشكلون قوة واحدة من خلال اتفاقهم وتواصلهم، الجيد فيما بعض، فهم ليس لهم حاكم أيضا «ويفتخر السكان بالتواصل الاجتماعي وليس لشنقيط سلطان عليهم».[4]

وأيضا منطقة وادي سوف يعتمدون على بعضهم في إنجاز المهام والقرارات «ولا يخضع سكان وادي سوف إلى حاكم وهم دائما ينظمون الفرق ويسلبون العرب من أملاكهم»[5]

[1]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص87.
[2]- المصدر نفسه، ص88.
[3]- المصدر نفسه، ص89.
[4]- المصدر نفسه، ص94.
[5]- المصدر السابق، ص96.

وفي المقابل نجد مناطق وقرى تم ذكرها من قبل الأغواطي تخضع إلى حكم السلطان أو الحاكم وعادة ما تكون له صلاحيات مبالغ فيها تسمح له بالجور على الرعية، كما وردت في رحلة أولف «هي الواحدة الرئيسية في توات والسلطان فيها له جنود تضرب بين أيديهم الطبول، وله سلطة توقيع العقوبة والسجن، وهو يمتلك الخيول والرجال».[1]

كذلك الأمر في منطقة تقرت إذ الحاكم بإمكانه إحراق المنازل والاستيلاء عليها وعلى باقي ممتلكات أفراد قريته لتصبح تحت سلطته من أجل زيادة في نفوذه وذلك على حساب طبقة الشعب البسيطة «وحاكم تقرت يملك إسطبلا كبيرا من الخيول والسروج زخارفها مطرزة بالذهب، ويملك سلطة إصدار حكم الإعدام وفي استطاعته إحراق المنازل والاستيلاء على أملاك الأفراد».[2]

ذكر الأغواطي في رحلاته طبقة العبيد وهي الطبقة الأخيرة المتمثلة في شعب الفقراء والشرائح التي ينطوي عليها من يتامى وغيرهم إذ يتم بيعهم والمتاجرة بهم في الأسواق ما نجده في أسواق تيميمون «ولها سوق يباع فيها العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة».[3]

ما يتبين لنا أن العبيد سلعة لاتختلف على السلع الأخرى وأن العبيد يمتلكهم السكان في قوله خلال رحلته إلى منطقة أولف « وللسكان عدد كبير من العبيد».[4]

أما عن طبقة التجار فقد ذكرها الأغواطي في العديد من الرحلات وفيها عاين أغلب المعاملات التجارية تقوم على المتاجرة بالعبيد وتراب الذهب، وأن المناطق التي يتم فيها الاستيراد هي منطقة السودان التي تحتوي على الكثير من العبيد مما يتبين لنا أن السودان في تلك الفترة كانت في أسوأ حالاتها وذلك بانتشار ظاهرة بيع العبيد

[1]- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، ص93.
[2]- المصدر نفسه، ص100.
[3]- المصدر نفسه، ص93.
[4]- المصدر نفسه، ص94.

والمتاجرة بهم الأمر الذي زال تدريجيا في وقتنا الحالي حيث نجد الأغواطي في رحلة من السودان إلى واحة توات ذكر بأن البضائع القادمة من السودان عبارة عن عبيد وتراب الذهب «إن البضائع المستوردة من السودان هي العبيد وتراب الذهب».[1]

وقد زار الأغواطي أيضا الطوارق «وهم الأمة الأمازيغية التي تستوطن الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينافاسو»،[2] أي أن منطقة الطوارق لها حدود مع عدة دول، وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية الطوارق بهذا الاسم ومنهم من يقول أنه أطلق عليهم التوارك بسبب تركهم الديانة الوثنية واعتناقهم الإسلام...«والطوارق هو الاسم الذي تطلقه الأمم على أهل الصحراء الكبرى، في حين يطلقونه أهل الصحراء على أنفسهم اسما آخر مستعار من تراثهم وتاريخهم وتجربتهم ولغتهم»،[3] فهم يقومون بحملات على السودان من أجل إحضار العبيد باعتبارهم سلعة وبضاعة «ويقومون بغزوات أو جولات في السودان ويعودون بعدها بالعبيد وغيرهم من البضائع».[4]

أما طبقة التجار فهم يترددون على مناطق مختلفة من أجل شراء العبيد وبيعهم والمتاجرة بهم لما لهم من دخل وفير وعادة ما يتم شراء العبيد من السودان حيث نجد الأغواطي في رحلته إلى عين صالح يذكر « ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب»[5]

[1]- المصدر السابق: ص.

[2]- طوارق، /ar.m.wikipedia.org/wiki

[3]- اسماعيل أحمد محمد، أثر الواسطية في نشر الطوارق للإسلام في غرب إفريقيا الواسطية فب الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، جامعة الوادي، 1439هـ- 2017م، ص335.

[4]- أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص98.

[5]- المصدر نفسه، ص94.

وأيضا في رحلته إلى وادي سوف وجد نفس المظاهر «ولم يطيعوا أبدا أي سلطان ومعظم تجارتهم مع غدامس، ففيها يبيعون العبيد».[1]

أي أن تجار وادي سوف أغلب سلعهم يتم بيعها في منطقة غدامس فهي منطقة أو بلدة كبيرة يسكنها عدد كبير من السكان وأيضا يتواجد فيها سوق كبير لبيع العبيد.

«وفي غدامس عدد كبير من العبيد، وثمن العبد الواحد فيها حوالي ثلاثين دورو، وثمن الأمة هو الثمن المذكور نفسه».[2]

إذن يتبين لنا أن علاقة القائد بالرعية هي علاقة يغيب فيها العدل والمساواة، إذ يطغى عليها نظام الطبقية، فالحاكم له كل الصلاحيات وذلك على حساب العبيد الفقراء أما طبقة التجار فهم بتجارتهم للعبيد تمكنوا من تحسين حالتهم المادية، وأن لكل منطقة في رحلة الأغواطي لها حاكم أو سلطان إلا بعض المناطق تتمتع بحريتها وتعاونها فيما بينها، وممارسة هذه المناطق للرعي راجع إلى طبيعة حياتهم البدوية أما الزراعة لطبيعة بعض المناطق وصلاحيتها للزراعة «وأرض هذا الجبل صالحة للزراعة»،[3] وهذا المثال مذكور في رحلة الأغواطي لجبل عمور بالإضافة إلى مناطق أخرى.

المطلب الثالث: صورة المرأة

تمكن الاغواطي في رحلته من أن يصور لنا عدة صور ثقافية في المناطق التي قام بزيارتها وتسجيل بعض الصور التي تزخر بها هذه المناطق والقرى منها صورة المرأة فقد تم ذكر وصفها من لباس وأمور أخرى التي تختلف من منطقة إلى أخرى بحكم العادات والتقاليد.

[1]- المصدر السابق، ص96.
[2]- المصدر نفسه، ص98.
[3]- المصدر نفسه، ص89.

نجد أن الأغواطي يشير إلى أن المرأة في الأغواط لا تخرج إلى الشوارع وباعتبارها عنصر يدل على احترامهن، والمكوث في البيوت ولكن هناك نساء تخرجن وربما ذلك رجع إلى ضرورات «وهم يرتدون الملابس الصوفية ولا تخرج فيها النساء المحترمات من بيوتهن أبدا، ولكن غيرهن يظهرن في الشوارع».[1]

وأيضا في منطقة عين ماضي تتمكن المرأة من الخروج إلى الشوارع وعدم المكوث في البيوت فقط فذكر الأغواطي ذلك قائلا:«وتظهر نساء عين ماضي في الشوارع».[2]

إذن تتمكن المرأة من الخروج إلى الشوارع وإلى مناطق أخرى وذلك لأسباب وأغراض مختلفة فنجد نساء المنيعة يقمن بأعمال خارج البيت «والنساء هنا كالبدويات يذهبن إلى الآبار ويسقين الماء ثم يحملنه على ظهورهن في القرب»،[3] أي أن لهن مهمة جلب الماء من الآبار على ظهورهن وهذا بحكم المنطقة التي لا تتوفر على المياه فمنطقة المنيعة تقع وسط الرمال وليس فيها ماء إلا من الآبار.

كذلك خروج المرأة لحفظ القرآن الكريم في منطقة شنقيط التي وصفها الأغواطي بكثرة حفظ القرآن والاهتمام الكبير به «ويقرأ سكان شنقيط القرآن بكثرة، حتى نساء يقرأنه،وقد يرى الرجل وهو يقرأ القرآن لأمه وزوجه».[4] كما صور المرأة أيضا في غدامس على أن لباس المرأة يكون من الصوف والقطن وأنهن متحجبات ويقمن بأعمال طحن الحبوب التي تنتج محليا من زراعة «ولباسهن من الصوف والقطن، وبشرتهن سوداء، ونساؤهم متحجبات»[5] وأيضا «والنساء يطحن الحبوب في بيوتهن».[6]

[1]- المصدر السابق، ص87.
[2]- المصدر نفسه، ص89.
[3]- المصدر نفسه، ص91.
[4]- المصدر نفسه، ص94.
[5]- المصدر نفسه، ص97.
[6]- المصدر نفسه، ص98.

في هذه المناطق كانت المرأة لها حرية محددة من الخروج على الأغلب جلب الماء أو القيام بأعمال لابد منها في الحياة اليومية.

أما صورة المرأة في منطقة وادي سوف فنجد القليل من الاختلاف أو أكثر تحررا إذ أن نساؤهن يخرجن بدون حجاب سواء كان ذلك إلى البساتين أو مناطق أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى انتشار مظاهر التفسخ في المجتمع «ونساؤهم يذهبن إلى السوق غير محجبات، كما يظهرن في البساتين، ويشيع بينهن الحنا كثيرا»،[1] والحنا هنا يقصد بها الأغواطي تعارف بين طرفين من أجل الاتفاق على الزواج...

وهذا ما صوره الأغواطي أيضا في قبائل أخرى من ضواحي مطماطة ونواحيها وهي خروج المرأة بحرية إلى الأسواق وعدم ارتداء الحجاب «ونساء هذه القبائل تخرج بحرية إلى الأسواق وهن غير متحجبات لباسهم من الحائك والسورية وقليل يلبسون البرنس وشرشيحة فضفاضة»[2] إذ يتبين لنا أن لباسهن هو الحائك الذي يعتبر من الألبسة التقليدية الأكثر انتشارا في تلك الفترة الزمنية.

ومن المناطق التي تخرج فيها المرأة متحجبة نجد تقرت وجزيرة جربة، أما منطقة الدرعية فالنساء هنا لهن دور مختلف وحرية مختلفة إذ بإمكان بعض النساء المشاركة في الحرب وبذلك تكن سندا لأزواجهن «وبعض النسوة يحاربن إلى جنب أزواجهن، ولهم تموين وافر من السلاح».[3] إذن في الدرعية كانت للمرأة مكانة عظيمة تمثلت في المشاركة في الحرب الأمر الذي يبرز شجاعة نسائهن.

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن أهم ما أثار انتباه الأغواطي في المرأة هو علو شأنها باعتبار أن لها مساهمة في بناء المجتمع.

[1]- المصدر السابق، ص96.
[2]- المصدر نفسه، ص99.
[3]- المصدر نفسه، ص104.

المطلب الرابع: الحياة الدينية للشعب الجزائري

من بين المظاهر التي أشار إليها الأغواطي ووقف عندها في رحلته هي الحياة الدينية للشعب الجزائري المتمثلة في الدين واللغة والهوية، فالهوية هي شخصية المجتمع وفي رحلة الأغواطي نجدها شخصية جزائرية متمثلة في مجموعة من السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو مجتمعا أو وطنا معينا عن غيره، ويتبين ذلك من خلال المناطق وأسمائها التي زارها الأغواطي فهي مناطق جزائرية ذات حدود مع بعض الدول المجاورة لها مثل زيارته للأغواط، متليلي، وادي ميزاب، المنيعة، توات، غدامس، مطماطة، الدرعية...

أما الحديث عن اللغة فهي اللغة العربية إذ تعتبر اللغة الوطنية والقومية للمجتمع الجزائري، كما تعد مقوما أساسيا للهوية الجزائرية فهي لغة القرآن فدين المجتمع الجزائري هو الإسلام.

والأغواطي تطرق إلى ذكر ذلك في بعض المناطق التي زارها كجبل عمور «ولغتهم هي العربية ...أما مسلمو الأغواط فحوالي ألف».[1]

وهناك مناطق تشتمل على أكثر من لغة مثل منطقة متليلي فالجزائر لها عدة لغات محلية ولهجات يزيد منن الموروث الثقافي والتأكيد على أصالة وخصوصية كل منطقة وذلك بالحفاظ على عاداتها وتقاليدها بما في ذلك لغتهاوهذه اللغات واللهجات كلها تندرج تحت اللغات الأم وهي اللغة العربية هذا ما نجده في منطقة متليلي التي يتكلم سكانها العربية والبربرية «ولغة السكا هي العربية والبربرية».[2]

فالبرابرة من أقدم السكان في بلاد المغرب أو بالإمكان القول أهم السكان الأصليون.

[1]- المصدر السابق، ص89.

[2]- المصدر نفسه، ص90.

وتنتشر لغة البربرية في أكثر من مكان في الجزائر وفي أكثر من منطقة في رحلة الأغواط فسكان ورقلة أيضا يتكلمون البربرية «ولغة السكان فيها هي البربرية».[1]

ونجد في ورقلة تسمية الرواغة وأيضا سكان تقرت وهم نتاج التمازج العرقي بين الزنوج القدامى في المنطقة وبربر زناتة القادمين من الشمال.

وفي رحلة المنيعة يتبين لنا تكلم السكان اللغة العربية وهي لغة واحدة «والسكان هناك يتكلمون العربية»،[2] وأيضا في رحلته إلى تيميمون التي سكانها يتكلمون البربرية الأمر الذي لا يؤثر كثيرا في الدين الإسلام باعتباره دين المنطقة رغم اختلاف اللغة إذ تتوفر وتشمل المنطقة على أربعة مساجد «وأهلها يتكلمون البربرية...ولها أربعة مساجد».[3]

هذا ما نجده في منطقة أولف فهي بلدة في واحة توات التي تحتوي على مساجد كثيرة، وسكان مسلمين بتوفر عناصر الإسلام والإيمان من صلاة وزكاة وصوم وقراءة القرآن الكريم رغم اختلاف لغتهم غير أنهم متمسكون بدينهم الإسلامي «وفي توات عدد المساجد والسكان فيها يصومون ويقرؤون ويزكون، وهم تحت نفوذ سلطان أولف، ولغتهم البربرية».[4]

بالإضافة إلى منطقة القورارة يتكلم سكانها البربرية ثم ينتقل الأغواطي إلى شنقيط إذ يصف سكانها أنهم كثيرا ما يقرؤون القرآن سواء نساء أو رجالا وهذا دليل على تمسك سكان المنطقة بالدين الإسلامي وإعطاءه أهمية كبيرة ووقتا وافرا من يومهم «ويقرأ سكان شنقيط القرآن بكثرة حتى النساء يقرأنه».[5]

[1]- المصدر السابق، ص92.
[2]- المصدر نفسه، ص92.
[3]- المصدر نفسه، ص93.
[4]- المصدر نفسه، ص94.
[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تطرق الأغواطي إلى مظهر آخر من شعائر الإسلام وهو الحج وذلك في منطقة تنبكتو «وعندما يتوجه سكان شنقيط إلى مكة حاجين يسيرون عبر السودان»،[1] أي أن سكان تنبكتو يقومون برحلات طويلة من أجل القيام بمناسك الحج وهي رحلات برية مرورا بالسودان.

كما نجد سكان وادي سوف يتكلمون العربية أما منطقة غدامس بربرية، ومن الأمور الغريبة وغير المعتادة نجد شعب الطوارق إذ يقومون بالصلاة واقفين «والطوارق يصلون واقفين».[2]

أما في منطقة مطماطة فنجد سكانها يتكلمون القبطية التي يقصد بها الأغواطي لهجة بربرية متأثرة بالبونيقية، وأنها ليست القبطية حقا «ولغة السكان هي القبطية، فهي ليست البربرية ولا التركية ولا العربية، بل هي القبطية»،[3] هذا ما نجده في القبائل الأخرى المجاورة لمطماطة انتشار لغة القبطية في كل القبائل مثل قبيلة النوائل، قبائل ابن وليد ومسلاته وغياثة...جميعا اللهجة نفسها.

إضافة إلى هذه المناطق نجد منطقة تقرت التي زارها الأغواطي فهي تمثل العاصمة هناك لها نفوذ على أربع وعشرين قرية.

وقد تمكن الأغواطي من رصد الحياة الدينية هناك بوصف مساجد المنطقة بالعلو وأنها تحتوي على جماعة من الناس يسمون المجاهرية كانوا يهود قديما ولكنهم اعتنقوا الإسلام ويحفظون القرآن كذلك وأنهم يقومون بالصلاة في الوقت المحدد لها ما عدا يوم الجمعة «ولهم مساجد في حيهم من البلدة، وهم يصلون في المواقيت المحددة ما عدا يوم الجمعة فإنهم لا يعتبرونه يوم عطلة».[4]

[1] – المصدر السابق، ص95.
[2] – المصدر نفسه، ص98.
[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4] – المصدر نفسه، ص100.

وفي جربة يوجد أناس يسمون أجيم ولغتهم البربرية ويقرؤون القرآن، وإن مذهبهم يشبه مذهب بني ميزاب فهم مسلمون إباضيون وهم يمتلكون مساجد خاصة بهم «لغتهم البربرية وهم يقرؤون القرآن ...وهم لا يصلون برفقة المالكية، ولهم مساجد خاصة بهم».[1]

أما في منطقة الدرعية الجزيرة العربية فأنها تحتوي على مساجد ولكن عقائد المنطقة تختلف عن سكان مكة، إذ لا يحترمون النبي ولا يدعون للرسول صلى الله عليه وسلم، وأنهم متشددون كثيرا وهم عبارة عن قبيلة كبيرة ولكن لا يتحدثون البربرية «ولهذه البلدة مساجد، ولكن سكانها يختلفون في عقائدهم الدينية عن سكان مكة، فهم لا يكنون احتراما للنبي ولا الصحابة...أن هؤلاء العرب يشكلون قبيلة كبيرة وليس فيهم من يتحدث البربرية».[2]

إذن نستنتج أن الأغواطي في رحلته قد تمكن من زيارة العديد من المناطق والقرى وأنه تمكن من تصوير عدة صور واستنتج مجموعة من الملاحظات والمظاهر لهذه المناطق، أولها رصد لغة سكان كل قرية والدين وهوية المنتشرة في هاته الأماكن المختلفة المواقع واختلاف الحدود نجد تنوع في لغة ولهجات من لغة عربية، وبربرية، والقبطية، وكذلك الدين هو الإسلام مع وجود بعض الطوائف مثل الطوارق هذه العناصر التي تشكل هوية المكان.

[1]- المصدر السابق، ص102.

[2]- المصدر نفسه، ص102-103.

خاتمــة

خاتمة

لكل بداية نهاية، وها قد وصلنا إلى نهاية بحثنا وبعد هذه الرحلة الشيقة والممتعة للأغواطي، توصلنا إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

1- الرحلة تنقل لنا تجربة الذات (الأنا والنحن) ورؤيتها للآخر واكتشافه وللأخذ عنه وأدب الرحلة يحمل قيمة وفائدة تكون بذكر الحقائق والمعلومات الدقيقة عن البلدان والشعوب والأماكن.

2- تكمن قيمة الرحلات فيما تخطه وتنقله لنا من حياة البلدان، وعادات وتقاليد وتنافسات المجتمعات الأخرى.

3- يعد أدب الرحلة ذخرا معرفيا كبيرا، ومخزنا للذات الحضارية، فضلا عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الواقعي والغريب مما شاهدته عيون تسافر وأنفس تنفعل بما ترى.

4- تتنوع الرحلات منذ القديم بتنوع الهدف والغاية فهناك رحلات طلب العلم ورحلات الحج، الحرب والسفارة...

5- شهدت الجزائر العديد من الرحلات في فترات مختلفة هدفها الاطلاع والاكتشاف وتدوين الموروث الثقافي للبلاد.

6- إثبات الأغواطي أن الجزائر تتربع على تراث غني ومتنوع الضروب.

7- اعتماد الأغواطي على الوصف والذي هو عامل أساسي يقوم عليه السرد إذ أن لا سرد بدون وصف وذلك من خلال انفعالاته الذاتية وهواجسه ليتفاعل مع مستجدات الحياة.

8- رحلات الأغواطي قائمة على المشاهدة لا على مجرد القراءة أو السماع والاستنتاج فهو حاول أن يعين مسالك ويوضح معالم، ويحدد مسافات بين مناطق ومدن.

9- الرحلة الأغواطية من أهم الدراسات التاريخية المتعلقة بفترة الكشوف الجغرافية والبعثات الأوروبية التي أثرت في التمهيد للاستعمار خاصة الفرنسية والأمريكية.

وفي الختام نأمل أن نكون قدمنا إسهاما في مجال البحث العلمي حول الخطاب الجغرافي والثقافي في رحلة ابن الدين الأغواطي.

تم بحمد الله

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ- المصادر:

1- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خاصة، 2011م.

ب- المراجع:

2- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدِّين، دار ابن حزن للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1،2005م.

3- أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، المعرفة الدولية للنش والتوزيع، ط.خاصة، 2011م.

4- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط.5، 2007م.

5- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثَّقافي، ج2، (1500-1830)، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط.1، سنة 1998م.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

7- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي-نشأته وتطوره وقضاياه- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

8- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1997م.

9- الأعشى ميمون ابن قيس، ديوان الأعشى، دار صادر (د.ط)، بيروت 1994م.

10- الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عقاد، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت)، ج1.

11- الحافظ: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عنتر، سلسلة روائع تراثنا الإسلامي، دمشق، ط.1، 1975م.

12 - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، (د.ط)، 2012م.

13- حسين نصار: أدب الرحلة: إشراف، محمد علي المكي، دار نوبال للطباعة، القاهرة، ط.1، 1991م.

14- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، (د.ب)، ط.1، 1991م.

15- حسين محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.2، 1983م.

16- زكي محمد حسين: الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، مؤسسة هنراوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

17- سعيد يقظين: مفاهيم وتجليات، الدار العربية للنشر دار الأمان، الرباط، ط.1، 2012م.

18- سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة، صورة أخرى في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النَّجاح الجديدة، ط.1، 1995م.

19- سميرة أنساعد، الحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، عين مليلة الجزائر، دار الهدى، (د.ط)، 2009م.

20- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط.4،1987م.

21- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل، مكتبة الأدب المغربي، (د.ب)، (د.ط)، 2002م.

22- صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، منشأ المعارف للنشر، الإسكندرية، (د.ط)، 1999م.

23- الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومنهاجه، دار المعارف، القاهرة، ط.1، 1987م.

24- عبد العليم محمد إسماعيل، تقنية السرد أساس أدبية الرحلة، جائزة الطبيب صالح للعالمية للإبداع الكتابي الدورة الثامنة، (د.د)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

25- عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التَّاسع عشر (مستويات السرد دراسات في الأدب الجغرافي)، دار السويدي للطباعة والنشر أبو ظبي، ط.1، 2006م.

26- عبد الله الركيبي: تطور النشر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، لبنان، تونسن (د.ط)، 1974م.

27- عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرن السابع والثامن هجري)، دراسة تحليلية مقاربة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ط، 1996م.

28- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط.1، 1996م.

29- عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط).

30- عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر- التفاعلات والنتائج- أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط.1، 2000م.

31- عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1991م.

32- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط.2، 2017م.

33- لخضر حشلافي: الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى الجلفة، ط.1، 2

34- محمد الصالح سليمان: الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د.ب)، (د.ط)، 1999م.

36- محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م.

37- نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الأندلسية والمغربية في نهاية القرن التاسع هجري، دار المافون، عمان، ط.1، 2007م.

38- النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال، د.ط، مصر، 2011م.

جـ- المعاجم والقواميس:

39- ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير،وآخرون، مج3، ج18، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

40- الرازي: معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2، 2008م.

41- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح، أبو الوفاء نصر الهاويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.3.

42- الفراهيدي: كتاب العين، تح، عبد الحميد هنراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط.1، 2003م.

43- مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط.2، 1984م.

د- المجلات:

44- البصائر سلسلة 2 العدد44، الصادرة بتاريخ 26 جويلية 1948م.

-45 جان بياجي، أدب الرحلات مجلة عالم الفكر، المجلد 13، العدد4، وزارة الإعلام الكويتية، مارس 1983م.

46- رويدة فؤاد عبد الله: الجغرافية العامة، قسم التاريخ، محاضرة أولى، 01-06-2021، 18:30.

47- صالح قيس: أنثوغرافيا الواقع في أدب الرحلة الجزائري "صورة الواقع وجمالية المتخيل"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، مجلد8، عدد1، 2019م.

48- فاضل إسماعيل خليل: الرحلة في طلب الحديث، مجلة أدب البصر، العدد38، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005م.

و– الرَّسائل الجامعية:

49- إخلاص علاق: مبارك الميلي ودوره الإصلاحي في منطقة الأغواط 1896-1945م، إشراف ميسوم بلقاسم، قسم العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مذكرة ماستر، 2018-2019م.

50- إسماعيل أحمد محمد أثر الواسطية في نشر الطوارق للإسلام في غرب إفريقيا، الواسطية، في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، جامعة الوادي، 1439هـ-2017م.

51- بوشنافة عبد العزيز: الجغرافية الطبيعية، محاضرة أولى، ماهية الفكر الجغرافي وتعرف علم الجغرافيا، 01-06-2021ن 18:45.

52- بورقبة مريم، أدب الرحلة عند محمد لخضر حسين (الرحلة الجزائرية أنموذجا)، بحث مقدم لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص دراسات جزائرية في اللغة والأدب، جامعة أدرار 2013م.

53- جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب الجزائري القديم، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م

54- جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية- دراسة سوسيو نقدية- أطروحة لنيل دكتوراه في النقد الأدبي الحديث، قسم اللغة الغربية وآدابها، إشراف ز الدين المخزومي، 2010-2011م.

55- ربيحة لمودع: خديجة قاسمي: التباسات الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من خلال رواية سأهبك غزالة لمالك حداد، مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر، قسم اللغة العربية، 2011م.

56- ناصر عبد الرزق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، كلية الأدب،جامعة القاهرة، ط.1، 1995م.

57- ياسمينة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائرية- نماذج من رحلات القرن العشرين- إشراف د/ علي لطرش، قسم اللغة والأدب العربي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، 2012-2013م.

ز- المواقع:

58- ويليام هدسون (https://www.goole.com/search)19:07-22-05-2021

59- ويليام هدسون (https: //ar.m.wikipedi.org)22:05-22-05-2021

الموضـــوع	الصفحة
شكر وتقديـــــر	
مقدمة	أ–ج
مدخل: لمحة عن الأدب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي	5
الفصل الأول: مفهوم الرّحلة ونشأتها	
المبحث الأول: مفهوم الرّحلة	14
مطلب 1: لغة	14
مطلب 2: اصطلاحا	15
المبحث الثّاني: نشأة الرِّحلة	22
مطلب 1: قبل الإسلام	22
مطلب 2: بعد الإسلام	25
المبحث الثالث: أنواع الرّحلة وأقسامها	29
مطلب 1: أنواع لرّحلة	29
مطلب 2: أقسام الرّحلة	37
الفصل الثاني: الخطاب الجغرافي والثقافي في رحلة ابن الدين الأغواطي	
تمهيد: التعريف بصاحب الرحلة وناقلها	41
أولا: التعريف بصاحب الرحلة	41

ثانيا: التعريف بناقلها	41
المبحث الأول: الخطاب الجغرافي في رحلة ابن الدّين الأغواطي	43
المطلب الأول: تعريف الجغرافيا	43
المطلب الثاني: رحلة الأغواطي	43
المطلب الثالث: رحلة من الأغواط إلى متليلي بواد ميزاب	44
المطلب الرابع:رحلة من متليلي إلى المنيعة	45
المطلب الخامس: رحلة من المنيعة إلى توات	46
المطلب السادس: رحلة من ورقلة إلى غدامس	47
المطلب السابع: رحلة من مطماطة ونواحيها	48
المطلب الثامن: رحلة من جزيرة جربة	50
المطلب التاسع: الدرعية (الجزيرة العربية)	50
المبحث الثاني: الخطاب الثقافي في رحلة ابن الدين الأغواطي	51
المطلب الأول: تعريف الثقافة	51
المطلب الثاني: علاقة القائد بالرعية والشعب	52
المطلب الثالث: صورة المرأة	55
المطلب الرابع: الحياة الدينية للشعب الجزائري	58
خاتمة	63
قائمة المصادر والمراجع	66